



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة

١ ـ الوصية ..

« أنا (عبد الحميد سالم الدمنهورى) ، متمتعاً بكامل قواى العقلية ، ومستخدماً حقوقى الشرعية ، أوصى بأن تحصل زوجتى السيدة (ريهام فتح الله) على فوائد وريع ثلث ثروتى وقدره مليون جنيه مصرى ، بالإضافة إلى الفيلا التى أقمنا فيها منذ زواجنا ، بشرط واحد هو ألا تتزوج من بعدى ، وفى حالة زواجها يتوقف حصولها على فوائد المبلغ ، ويعود بأكمله إلى أشقائى الثلاثة : (فاضل) و(فتحى) و(فوزية) ، على أن تحصل زوجتى حينذاك على نصيبها الشرعى ، وقدره ثمن الثروة ، مخصوماً منه كل المبالغ التى حصلت عليها من فوائد الثلث و........ » .

التفتت عيون الأشقاء الثلاثة إلى (ريهام) فى حقد لا يخلو من الشماتة ، على حين تعلقت عيناها بشفتى (وجدى صالح) المحامى فى شرود .. لم تستمع إلى باقى الوصية ، كما لم تلتفت إلى تلك النظرات النارية الحاقدة التى تخترق جسدها ..

كانت تعود بذاكرتها إلى ماضيها ..

إلى ذلك اليوم الذى ألقت فيه نفسها فى فيلا (عبد الحميد الدمنهورى) ..

كان ذلك التعبير هو ما يحلو لها اختياره كلما تذكرت بدايتها مع (عبد الحميد) ..

كانت قد تخطت التاسعة عشرة ببضعة شهور ، حينما وقع عليها بصر (عبد الحميد) لأول مرة ..

يومها كادت عيناه تقفزان من محجريهما ..

فقد كانت (ريهام) ــ وما تزال ــ فاكهة ناضجة شهيـة ..

وجهها مستدير كالقمر ..

عيناها زرقاوان واسعتان فى لون السماء الصافية ، تظللهما رموش سوداء طويلة فى حنو وإغراء .

ينبت من بينهما أنف دقيق جميل ، ينتهى فوق شفتين رقيقتين فى لون الفراولة الطازجة .

بل إن فواكه الأرض لتشعر بالغيرة والحسد والخجل إلى جوارهما .

شعرها الأسود الناعم ينسدل فى رقة على أكتافها ، حيث يبدأ جسدها ...

جسدها الرقيق الضئيل المتناسق ، الذى طالما فجّر ينابيع الشعر فى قلوب شباب حيّها .

يوم رآها (عبد الحميد) لأول مرة كانت فى طريق العودة إلى منزل أسرتها ، ترتدى زيها المدرسىّ الرمادىّ ، وتضم حقيبتها إلى صدرها فى حنان ، وكأنها تضم حبيباً طال الشوق إليه ، أو طفلا أسال حنان القلب ببكائه .

كانت السماء تنعكس فى عينيها الزرقاوين ، وكأنما تغار من صفائهما وبريقهما .

كان ذهنها شارداً ، وقدماها تنتقلان فى بطء وهدوء ، وكأنها تحاول إطالة الوقت قبل أن تصل إلى منزلها ، الذى يكتظ بإخوتها الخمسة وأبويها .

فهناك تبدأ رحلة المشقة .

حيث تعاون أمها فى تنظيف المنزل ، ورعاية الصغار ، ويتفجر دوماً سيل من المشاجرات والمشاحنات ، ينتهى عادة بصراخ والدها ، وبصوت كفه وهو ينهال فى صفعات غاضبة على ظهر شقيقتها أو وجه شقيقها ،

ثم يسود المنزل جوّ من التوتر الحزين ، يستمر حتى يأوى الجميع إلى فراشهم .

كانت تكبر أشقاءها بسنوات عدة ، نشأت من إنجابها مع أول سنوات زواج والديها ، ثم توقفهما عن الإنجاب طويلا ، حتى استقر المقام بوالدها فى القاهرة .

لهذا كان شعورها نحو أشقائها أقرب إلى شعور الأم منه إلى شعور الأخت الكبرى .

وأورثها هذا شعوراً جارفاً بالوحدة .

فأبوها بعيد عنها بمشاكل عمله، وتدبير معيشته ومعيشة أسرته .

وأمها نائية عنها بسذاجتها وطيبتها التى لم تعرك الحياة، ولم يهذبها التعليم .

وأشقاؤها فى واد آخر يفرضه فارق السن بينهم .

كانت العودة إلى المنزل هى آخر ما تتمناه (ريهام) وتأمله ، كانت تشعر هناك بالإحباط والقلق والقهر ، ولطالما اختلست بعض الوقت لتتأمل فى ضيق وحسرة أولئك الفتيات ، اللاتى يقطعن الطريق فى ثيابهن الغالية الأنيقة ، أو ينطلقن بسياراتهن فى خيلاء .

لم يكنّ بارعات الحسن مثلهـــا .. ولكنهنّ كنّ أكثر ثراء .

ولم تكن هى فقيرة .. ولكنها لم تكن ثرية .

فوالدها الطيب القلب كان موظفاً كبيراً ، يحتل مركزاً مرموقاً فى أحد الدوائر الحكومية ، يحرص دائماً على أناقته ، برغم الحلتين الوحيدتين اللتين يمتلكهما ، واللتين يحرص على نظافتهما والعناية بهما دائماً .. ربما لأنه يعلم أن مرتبه الحكومى لن يسمح له بالحصول على ثالثة قبل وقت طويل ، هذا لو أنه نجح فى ادخار ثمنها بعد الإنفاق على ستة أبناء ، ومنزل كبير ، ومتطلبات لا تنتهى .

صحيح أنه يذهب إلى عمله ، ويعود منه دائماً فى سيارة فارهة ، تحمل أرقاماً حكومية ، ولكنه لم يكن يستطيع ادخار ثمن الوقود الذى تستهلكه مهما حاول ، وكان هذا العجز فى ميزانية المنزل ، ومتطلبات المحافظة على المظهر العام ، يجبران (ريهام) دائماً على ارتداء ثياب رخيصة الثمن ، تتناسب والقدر المخصص لها من مرتب والدها .

كان جمالها الفتان ينجح فى حجب حقيقة ثيابهـــا عن الفتيان من جيرانها ، ولكنه أبداً لم ينجح فى حجب هذا

عن الفتيات من زميلاتها وجاراتها .. بل إن الحسد الذى يطل من عيونهن وهن يتطلعن إلى جمالها كان مبرراً كافياً ليسخرْنَ من رقة حال ثيابها .

لهذا كانت (ريهام) دائماً وحيدة منطوية ، تعيش فى منزلها صامتة مطيعة ، كما لو كانت تعيش فى ملجأ للأيتام ، لا بين أبويها وأشقائها ، منطوية بين زميلاتها فى المدرسة ، لا تختلط بهنّ ، ولا تصادقهنّ ، لم تكن تصادق سوى كتبها ، والروايات العاطفية التى تقرؤها خلسة فى شرفة المنزل ، بعد أن يأوى والداها إلى فراشهما ، ويغلب النوم أشقاءها .

كانت الكتب هى ملاذها الوحيد ، فيها تجد السلوى ، والخيال ، والحب .. وفى كل رواية عاطفية تقرؤها كانت هى البطلة ، بكل مشاعرها وأحاسيسها .. تبكى فى لوعة حينما تفترق بطلة الرواية عن حبيبها ، وتضحك فى سعادة حين يلتقيان .

تتشكل ملامحها فى أثناء القراءة بكل الانفعالات التى تراود البطلة ، فتزوى ما بين حاجبيها ، وتبتسم فى حب

وحنان ، وتغضب ، وتفرح مع كل انفعال يراود بطلة الرواية .

هكـذا كانت تعيش قبـل أن يقـع عليهـا بصر (عبد الحميـد) .

يومها كانت تسير فى بطء ، وتسرح بأفكارها مع بطلات الروايات ، عندما رأت أمامها (عبد الحميد) بجسده البدين ، ورأسه الأصلع ، وشاربه الرفيع ، وعينيه اللذين تطل منهما الشهوة والرغبة وهو يتطلع إلى جسدها .

كان جمالها الخارق قد أسال لعابه حتى خيل إليه أن الملائكة قد أرسلتها إلى الأرض مندوبة فوق العادة لاختبار قدرات البشر على الصمود أمام الفتنة والإغراء .

كان يتطلع إليها فى اشتهاء وقحـة حتى أنها توقفت عن المشى ، وتطلعت إليه فى مزيج من الدهشة والخوف ، وزادت من ضم ذراعيها على حقيبتها ، وكأنها تحتمى بها من هذه النظرات .

كانت قد اعتادت نظرات الإعجاب والرغبة ، وتشعر معها بمزيج عجيب من الفخر ، والسعادة ، والخجل ، ولكنها أبداً لم تقابل مثل هذه النظرة ...

نفضت خوفها ودهشتها دفعة واحـدة ، وأسرعت تطيل خطوتها ، وتبتعد عن (عبد الحميد) ، وارتجف قلبها فى قوة حينما عبرت إلى جواره ، وشعرت بقلبها يخفق بين ضلوعها حينما سمعته يتنهد فى قوة ، حتى أن أنفاسه الحارة قد لفحت وجهها وعنقها ، وتحولت خطواتها إلى ما يشبه العدو ، وأسرعت ترقى سلالم منزلها فى وجل ، وظل قلبها يختلج حتى بعد أن بدلت ثيابها ، وبدأت تعاون أمها فى أعمال المنزل .

أما (عبد الحميد) الذى اعتاد الحصول على كل ما يريد بسبب ثرائه الفاحش ، فقد هتف يومها بأنه يريد هذا الملاك، وتابعها ببصره ،حتى رآها تصعد سلالم منزلها ، وبمبلغ صغير لا يتجاوز الجنيهات الخمسة حصل على كل ما يريد معرفته عنها من بوّاب العمارة ، وقرر أن يحصل عليها .

لم تدر هى شيئاً عن رغبته هذه إلا فى اليوم التالى ، حينما توقفت أمام العمارة سيارة فارهة ، من النوع الذى يتجاوز ثمنه عشرات الألوف من الجنيهات ، وحينما طرق (عبد الحميد) باب منزلها ، مرتدياً حلة باهظة الثمن ،

تفوح منه رائحة عطر ثمين ، عبق جو المنزل عن آخره برائحة الثراء . وفى بساطة وثقة طلب (عبد الحميد) يدها للزواج ، وهو يجلس إلى جوار تل الهدايا الفاخرة ، التى أحضرها لكل أفراد الأسرة .

يومها عرض والدها الأمر عليها وهو يتوقع رفضها بما لا يقبل الشك ، فلم يكن يتصور أن تتزوج فراشته الرقيقة رجلا فظاً مثل (عبد الحميد الدمنهورى) ، برغم ما يتمتع به من ثراء فاحش ، ولكنها يومئذ لم تر ملامح (عبد الحميد) الغليظة ، ولا كرشه المتهدل ، ولم تنتبه إلى أسلوبه السوقى فى الحديث ، كل ما رأته فى (عبد الحميد الدمنهورى) هو أحلام الثراء ، والثياب الفاخرة ، والسيارة الفارهة . . .

رأت فيه فقط ما أرادت أن تراه ، وما تحلم به منذ طفولتها .

رأت فيه الأمل فى الهروب من شقاء المنزل ، ومتاعب الأشقاء . . .

رأت فيه الثروة القادرة على إبراز جمالها النادر . . .

ووافقت . . .

وافقت برغم دهشة والدها والدموع فى عينى والدتها . .

وافقت وهى تعيش حلماً جميلا كبطلات الروايات . .

ولكن هذا الحلم تحطم دفعة واحدة بعد زفافها إلى (عبد الحميد) . .

حقًّا كان ثريًّا ، وثروته تقدر بالملايين ، ولكنه كان شحيحاً ، أنانيًّا ، لا يمنحها قرشاً واحداً إلا بعد آلاف الأسئلة عن حاجتها للمال ، وطرق إنفاقها له . .

وبعد محاضرات قاسية عن ضرورة الاقتصاد والتوفير مهما بلغ ثراء المرء . .

وجدت نفسها بعد الزواج أكثر فقراً مما مضى . .

فوالدها على الرغم من دخله المحدود كان يحاول إسعادها بكل الوسائل . .

أما زوجها ، فعلى الرغم من ثرائه الفاحش فإنه لا يهتم بها مطلقاً . .

كانت بالنسبة إليه نزوة فقدت بريقها بعد أن امتلكها بين يديه . .

وكان أشقاؤه الثلاثة يعاملونها فى تجاهل واحتقار ، كما لو كانت عدوًّا يحاول انتزاع شقيقهم الثرى منهم . .

وكم كانت سعادتهم وشماتتهم حينما مرّ عام كامل على الزواج دون أن تنجب ، وبدءوا فى إشعال نار الفتنة بينها وبين شقيقهم ، حتى بدأ يعاملها فى خشونة ، وإهمال ، طوال العام الثانى من الزواج ، إلى أن سقط صريع المرض ، وأخذت حالته تزداد تدهوراً برغم المبالغ الباهظة التى أنفقها للعلاج ، ولكنها ظلت إلى جواره كالممرضة ، تسهر طوال الليل لتعطيه أدويته فى مواعيدها ، وتعاونه فيما يطلب ، ويرغب ، وشعرت أيامها بالصراع العنيف الذى يدور فى أعماقه ، وهو يحاول التوفيق بين المخاوف التى زرعها أشقاؤه فى قلبه ، عن زواجها من بعده ، وتمتعها بثروته ، وبين التفانى الذى يراه فى معاونتها له ، ورعايتها الحنون ...

وأخيراً انتصر المرض ، وانتقل (عبد الحميد) إلى جوار ربه ، وترك هذه الوصية التى تحقق التوازن بين مخاوفه ورغبته ، فها هو ذا يمنحها دخلا محترماً طيلة عمرها على شرط ألا تتزوج ، وعليها أن تختار بين العيش فى ثراء ، أو الزواج ..

شعرت أنه ظل أنانياً حتى بعد وفاته ...

وظل شحيحاً حتى فى وصيته ..

وتبخرت أفكارها وذكرياتها دفعة واحدة ، حينما وضعت (فوزية) يدها على كتفها ، وسألتها فى شماتة :

– ماذا قررت يا أرملة أخى العزيز؟

وجدت نفسها تهتف فجأة فى تحد وعناد :

– سأعيش ..

* * *



٢ ـ الثراء ..

ذاقت (ريهام) طعم الثراء للمرة الأولى فى عمرها .. انغمست فيه من قمة رأسها حتى أخمص قدميها .. وانتقل هذا المذاق إلى أسرتها ، التى انتقلت لتعيش معها فى الڤيلا الضخمة التى تركها لها (عبد الحميد) ، وتمتع والداها وأشقاؤها بالبذخ الهائل ، الذى قررت أن تحيط حياتها به ...

حطمت فى البداية كل القيود والأسوار التى أقامها حولها (عبد الحميد) فى حياته ، وكان أول ما فعلته هو تعلم قيادة السيارات ، وشراء أكثر من سيارة فاخرة ، تشبه أقلها ما كان يراود أحلامها فى الماضى ، وأنفقت الآلاف فى شراء ثياب أنيقة غالية الثمن ، يستورد بعضها خصيصاً من أجلها من أرقى متاجر (باريس) ، وتقدمت بطلب عضوية فى أرقى نوادى القاهرة ، وأحاطت نفسها بعدد كبير من الأصدقاء والصديقات من أبناء الطبقة الثرية ، لم تكن تميل إلى استخدام مصطلح (الطبقة الراقية) ، بل كانت تفضل إطلاق لقب (الطبقة الثرية)

على أصدقائها وصديقاتها ، ربما لأن أساليبهم وأفعالهم لم تكن تقترب من الرقى الذى تتصوره هى ، وإنما كانت تعبر دائماً عن الثراء السهل ، والرعونة البالغة ...

حطمت (ريهام) كل القيود والأسوار ، ولكنها ظلت تحتفظ بشعور الوحدة ..

فصحيح أن أسرتها تعيش معها فى مكان واحد ، ولكنهم لم يعودوا يعاملونها كابنة وشقيقة ، بل كصاحبة الثراء الذى ينعمون به ، وربة النعمة التى يتمرغون فيها ..

لم يكن أحدهم يعترض على مطالبها وآرائها .. صارت هى صاحبة الكلمة الأولى فى الڤيلا برغم سنوات عمرها التى لم تتعد الثانية والعشرين ..

انزوى والدها مكتفياً بمتابعة برامج التليفزيون ، والصلاة ، وتناول الوجبات فى مواعيدها المنتظمة كالساعة ، وأخذ يقضى معظم الوقت فى الڤيلا ، داخل جلبابه الأبيض البسيط ، على الرغم من عشرات الحلل التى أهدتها إليه ، لتعوضه عن حرمان السنوات الماضية ، ولكنه لسبب لم تفهمه كان يفضل ارتداء حلتيه القديمتين ،

اللتين مازال يحرص على نظافتهما، والعناية بهما كلما فكر فى الخروج ، أو الذهاب إلى العمل ..

وأمهـا ما زالت تصر على المعاونة فى تنظيف الڤيلا وترتيبها ، متجاهلة ذلك العدد الكبير من الخدم ، الذين يتقاضون مرتبات باهظة لهذا المقابل وحـده ، وكثيراً ما ثارت (ريهام) فى وجهها ، واتهمتها بأنها تكره الثراء وتحب الفقر ، وكانت الأم الطيبـة - حينئـذ - تكتفى بالانكماش فى مقعدها كطفل صغـير ضبطه والده متلبساً بخطأ ما ، أو تمصمص شفتيهـا ، وتتحسر على حياتهم السابقة فى منزلهم القديم ، الذى أصرت على الاحتفاظ به بعد إقامتهم فى الڤيلا الخاصة بـ (ريهام) .

أما أشقاؤها فهم يتحاشونها دائماً ، ولا يتبادلون معها إلا الضرورى من الكلمات ، حتى عندما يحتاج أحدهم إلى بعض المـال ، فهو يطلبه منها على خجل واستحياء ، لم يتلاش برغم بذخها الشديد فى تغطية متطلباتهم ...

كانت تشعر أنها أصبحت أكثر وحدة من ذى قبل ، وأكثر يتماً ..

حتى أصدقاؤها وصديقاتها فى النادى ، وفى حفلاتها المنزلية ، كانوا أكثر خواءً وتفاهة ، ولم يكن لهم من همّ سـوى الحديث عن أحدث موديلات الثياب ، وطُرُز السيارات ، ونوادرهم الجامعية .. وهذا الحديث الأخير بالذات كان يمـزق شيئاً ما فى أعماقها .. فقـد أصر (عبد الحميد) قبل الزفاف على ألا تواصـل بحثها عن العلم ، على الرغم من حصولها على مجموع متفوق فى الثانوية العامة ، ويومها رضخت لرغبتـه ، بل لكل رغباته حتى لا تفقد ثروته وجاهـه ..

كانت تعانى فى الماضى عقدة واحدة .. وأصبحت تعانى الآن عشرات العقد النفسية ..

وازداد التصاقها بالكتب والروايات العاطفية ، حتى أصبحت صديقهـا الوحيد ، وملاذهـا الدائم المنفرد ، الذى ينطلق فيـه خيالها ، وتتأجج معه عواطفها إلى العالم الذى ما زالت تحلم به بعد كل هذا الثراء ..

وفى أثناء واحدة من الجلسات النادرة مع النفس ، والتى يعترف فيها الإنسان أمام نفسه بكل نواقصـه وعيوبه ،

اتخذت قراراً جديداً جريئاً .. قررت ان تواصل دراستها، وتلتحق بالجامعة ..

يومها انتظرت والدها حتى انتهائه من أداء صلاة العشاء ، ثم جلست إلى جواره ، وقالت فى هدوء :

ـ لقد قررت أن ألتحق بالجامعة هذا العام .

أشاح بوجهه ، وكأنه يتحاشى مواجهتها ، وغمغم فى صوت خفيض :

ـ على بركة الله .

عادت تسأله وكأنها تصرّ على أن يكون له شأن فى قرارها :

ـ أية كلية تظن أنها أكثر ملاءمة لى ؟

حدّق فى وجهها بعينين خاليتين من أى تعبير ، وتمتم فى هدوء :

ـ التى ترينها أنت مناسبة ..

شعرت ببعض الغضب فى أعماقها من رفضه المشاركة فى هذا القرار المصيرى ، الذى اتخذته بعد تفكير طويل ، فقالت فى صوت لم يخل من نبرات الحدة :

ـ ألا تفضل كلية بذاتها ؟

عاد يُشيح بوجهه وكأنه يرفض أسلوب حديثها معه ، مغمغماً :

ـ هذا قرارك وحدك يا بنيتى .

مضت فترة ثقيلة من الصمت ، ثم نهضت وهى تقول فى استسلام :

ـ سألتحق بكلية الآداب .

همْهَم دون أن يلتفت إليها :

ـ فليفعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما فيه الخير .

ظلت واقفة تتأمله لحظات ، وتمنت لو أنه مارس دوره كأب ، وأرشدها إلى الطريق الذى يراه صحيحاً ، حتى ولو كان يخالف رغبتها فى دراسة الأدب ، إلا أن الأب اكتفى بترديد بعض الآيات القرآنية بصوت خافت وكأنه يعلن انتهاء الحديث بينهما ، فاستدارت فى غضب، وغادرت غرفته وقد ازدادت إصراراً على تنفيذ قرارها ..

انتهى كل شىء فى سهولة ويسر لم تتوقعهما ، وساعدها مجموعها المرتفع فى الثانوية العامة ، وأخيراً وجدت نفسها مقيدة بالصف الأول بين طلاب كلية آداب القاهرة ..

كانت سعيدة للغاية ، وفخورة حتى أنهـا أخبرت الجميع بما فعلته ، ولدهشتها قابلتها العيون بمـزيج من الدهشـة والسخرية وعـدم التصديـق ، بل إن إحـدى صـديقاتهـا سألتها فى بساطة لا تخلو من العجب فى أثناء إحدى جلساتهم الفارغة فى حديقة النادى :

– لماذا ترغبين فى مواصـلة الدراسة وأنت تتمتعين بكل هذا الثراء ؟ ..

عبثاً حاولت إفهامهـا أن تحقيـق الذات لا يكون بالأموال فقط ، وأن رغبات الإنسان فى التفوق والتطور لا تقتصر على الثراء وحده، ولكن العقول الخاوية لم تكن بقادرة على استيعاب هذا المنطق، وسرعان ما ملّ الجميع حديثها المتزن ، وعادوا ينغمسون فى حوار طويل ضاحك عن أحدث الأزياء ، وأسرار النادى ورواده .. وعادت هى تشعر بمزيد من الوحدة بينهم ، وعاد عقلها يحلق فى عالم الخيال ..

وفى اليوم الأول لبدء العـام الجامعى بدت منفصلة متـوترة ، كطالبـة تواجـه عالم الجامعـة لأول مـرة ، وحرصت على انتقاء ثوبٍ أنيق بسيط ، واختارت أصغر

سياراتها للذهاب إلى الجامعة ، ولم تنس والدتها أن تدعو لها بالتوفيق والنجاح ، وتشعل البخـور فى الفيلا حتى لا تتعرض ابنتها للحسـد من زميلاتها فى الكلية على جمالها الفتان ، ومن العجيب أن استقبلت كل هذا بالمرح الذى لا يخلو من القلق ، ولم تثر كعادتها كلما أقدمت أمها على عمل من أعمالها التلقائية البسيطة ..

ووصل توترها إلى ذروته وهى تعبر بوابة الكلية ، ودار بصرها حولها فى قلق تتأمل المجموعات التى اشتركت فى أحاديث مرحة ضاحكة ، فى اليـوم الأول للدراسة ، والمجاميع التى ازدحمت حـول جداول المحاضرات فى اهتمام .. تأملت الجوانب المختلفة من الحياة الجامعية ، التى طالما تاقت إليها ، إلى أن توقفت عند ركن يمتلئ بمجلات الحائط.. عند جزء خاص من هذا الركن حيث احتدم نقاش لم تتبين منه سوى خليط من الأصوات والاعتراضات ..

وبدون أن تدرى قادتها قدماها إلى ذلك الركن، ربما لرغبتها الجارفة فى الاندماج بالوسط الطلابى الجامعى من اللحظة الأولى ..

وهناك وقع بصرها عليه للمرة الأولى ، وخفق قلبها بشكل جديد لم تألفه من قبل ..

لم تكن خفقاته تشبه ما كانت تشعر به وهى تقرأ الروايات العاطفية ، بل كانت أكثر قوة وارتجافاً ..

وكانت تلك المشاعر العاطفية التى انسابت فى عروقها من نوع عجيب ، استكانت له خلاياها ، ورقصت له ضلوعها ..

لم تعد ترى سواه ، بملامحه الوسيمة الجذابة ، وقوامه الرياضى الممشوق ، وعينيه السوداوين ، اللتين تنتقلان فى يسر من محدث إلى آخر ...

حلّق خيالها فى فضاء وردى جميل .. كان جسدها يقف وسط ساحة الكلية ، أما عقلها وقلبها فقد سبحا وسط حديقة غناء ، تمتلئ بزهور يانعة ، لها أوراق حمراء كالقلوب .. وسطها زهرة جميلة تحمل وجهه ، الذى يبتسم ابتسامته الهادئة الجذابة وهو يتطلع إليها فى حب ..

توقفت أذناها عن سماع الحديث الدائر ، والمناقشة المحتدمة ، وانسابت إليهما موسيقى عذبة تعزفها الملائكة على قيثارة الحب ..

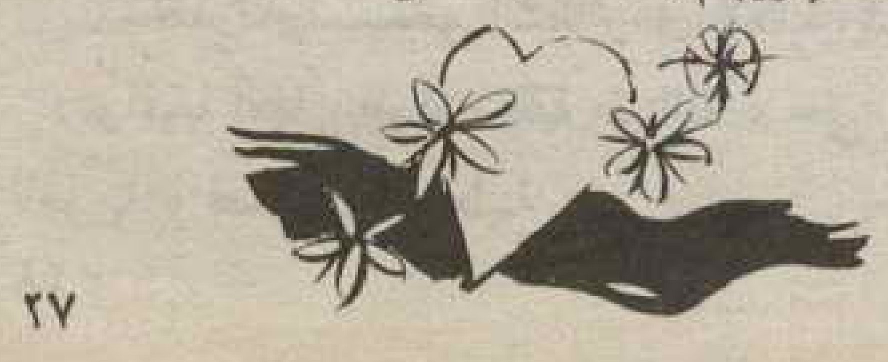
خرجت من أحلامها فجأة حينما التقت عيناها بعينيه السوداوين ، وسمعته يسألها دون أن تفارق ابتسامته الجذابة وجهه :

ـ ما رأى الآنسة فيما نقول ؟

تلعثمت وارتبكت ، فتحت فمها لتنطق ، إلا أن الكلمات احتبست فى حلقها ، ووجدت نفسها تسرع الخطا مبتعدة ، قلبها يزداد ارتجافاً مع ازدياد سرعة قدميها ، وخفقاته تنطق عبارة واحدة يهتز لها جسدها :

ـ هذا هو فارس أحلامى .. هذا هو من أبحث عنه منذ مولدى .

كانت منذ حداثتها ترفض الاعتراف بما يسمونه (الحب من أول نظرة) ، ولكن اختلاج قلبها وارتعاش أعماقها أجبرا عقلها على الاستسلام لقلبها ، الذى اعترف فى استحياء أن (ريهام) قد أحبت من النظرة الأولى ..



٣ ـ الحب ..

لم يكن قلب (ريهام) قد توقف عن الرقص طرباً عندما عادت إلى منزلها فى ذلك اليوم ، وبدا طربها واضحاً وهى تصعد درجات سلم الڤيلا قفزاً ، واستقبلتها والدتها بابتسامة عريضة تفيض بالطيبة والحب ، ولم يخف عليها ذلك المرح المفاجئ الذى ملأ جنبات ابنتها الكبرى ، فاحتضنتها فى سعادة لا تخلو من القلق وهى تسألها :

– كيف كان يومك الأول فى الجامعة يابنيتى ؟

هتفت فى سعادة :

– كان رائعاً يا أماه .

أفلتت من بين أحضان والدتها ، وانطلقت تصعد إلى حجرة نومها فى الطابق الثانى ، وصاحت والدتها خلفها :

– لقد أعددنا طعام الغداء .

هتفت وهى تلوّح بذراعيها فى مرح :

– لقد تناولت بعض الشطائر فى الكلية ، شكراً يا أماه.

راقبتها أمها بنظرات قلقة متسائلة ، حتى اختفت عن ناظريها ، فغمغمت فى طيبة :

– فليحفظك الله من كل سوء يا بنيتى .

أما (ريهام) فقد دخلت إلى حجرة نومها ، وأغلقت الباب خلفها ، ثم ألقت جسدها فوق فراشها الوثير ، وارتسمت ابتسامة حانية على شفتيها وهى تشرد ببصرها بعيداً .. إلى الجامعة .. إلى ركن صحافة الحائط ، حيث التقت بفارسها هذا الصباح ..

لم تكن تعرف حتى اسمه إلى الآن ، ولكنها رأت فيه كل أحلامها وعواطفها ... رأت فيه كل أبطال الروايات التى قرأتها طيلة عمرها .. رأت فيه الأمل والحلم والحب..

مدت يدها بتلقائية تتناول الرواية العاطفية التى بدأت فى قراءتها أمس ، وحاولت أن تتابع سطورها ، إلا أنها كشفت أن عقلها قد نسى الجزء الأول من الرواية ، وأن عينيها لا تستطيعان الاستقرار فوق السطور ، فذهنها كله يسبح معه فى حدائق العشق والهيام ، وجنات الحب والحنان ..

ألقت الرواية العاطفية جانباً ، وابتسمت فى فخر وحنان ، فها هى ذى تعيش رواية خاصة ، تحتل فيها دور البطولة إلى جواره ..

وفجأة استيقظت من أحلامها على حقيقة لم تدر بخلدها من قبل ... ماذا لو أنه يحب فتاة أخرى ؟ .. ماذا لو أنه غارق حتى أذنيه فى عشق آخر لا مكان فيـه لقلبها ؟

شعرت فجأة بنيران الغيرة تأكل قلبها ، وبحقد شديد على غريمة مجهولة ليس لها – حتى الآن اسم ولا عنوان ..

شعرت بقلبها ينفطر ، وبنشوتها تتحـول إلى كآبـة قاسية انتزعت البهجـة من قلبهـا لتحتله ، وترفع فوقه علمها الأسود ..

وفجأة انفجرت (ريهام) باكية .. فاضت دموعهـا روى وسادتها بالحزن والأسى .. حـزن لا مبرر له ، وأسى لا تدرى مبعثه ..

نهضت فجأة من فراشها ، وأسرعت تغادر حجـرة نومهـا ، وكأنها تفرّ من أحزانها ، واتسعت عينا والدتها الطيبـة دهشة حينما رأت ذلك التبـدل العجيب ، الذى أصاب ابنتها من المرح إلى الاكتئاب ، ولكنها لم تحاول أن تسألها عن سبب هذا التبدل خشية ثورتها ، كل ما فعلته من أعماق قلبها المضطرب هو أن سألتها ، حينما رأتها تطلب إعداد سيارة من سياراتها الفارهة :

– إلى أين يا بنيتى ؟

أجابتها (ريهام) فى اقتضاب :

– إلى النادى .

تجرأت والدتها على سؤالها مرة أخرى :

– ومتى تعودين ؟

جاءت إجابة (ريهام) حادة وهى تقول .

– وقتما يحلو لى .

ثم غادرت الفيلا على عجل ، وخلفها تمتمت أمهـا فى قلق وحزن :

– هداك الله يا بنيتى ، وأرشدك إلى الطريق الصحيح.

أما (ريهام) فقـد انطلقت إلى النـادى فى محـاولة لنسيان الأحزان التى تسيطر على أعماقها ، واستقبلها أصدقاء النادى بعبارات ساخرة، يغلفها المرح ، وتبادلوا النوادر حول يومها الأول فى الجامعة ، وحاولت هى أن تشاركهم مرحهم ، أو تبتسم لدعاباتهم ، ولكنها شعرت فجأة وكأنها لم تعـد تطيق أسلوبهم هذا .. كأنها قد أصبحت تستخفهم وتضيق بهم ، وبجلساتهم الخاوية الفارغة ..

أصابتها الدهشة من ذلك التغيير العجيب الذى أصابها ، وكأن لقاءها الصغير للغاية معه قد قلب أعماقها تماماً .. لم تكن قد تبادلت معه سوى ذلك السؤال الذى وجهه إليها ولم يتلق عنه جواباً ، والذى أسرعت بعده تفرّ من عينيه السوداوين ، اللتين كانتا وكأنهما تغوصان فى أعماقها .. ولكن ذلك اللقاء القصير للغاية زرع فى أعماق قلبها زهرة تتوق للارتواء برحيق الحب والحنان .. زهرة لم تنبت من قبل فى حديقة قلبها ..

نهضت فى هدوء .. دون أن تلقى التحية على رفاقها ، وغادرتهم وسط دهشتهم ، التى لم تلبث أن تبددت وهم يضحكون فى خواء ، ويعودون إلى تبادل أحاديثهم الفارغة التافهة .

ظلت تجولُ بسيارتها دون هدف حتى أقبل المساء ، فعادت إلى الڤيلا ، وصعدت إلى حجرة نومها دون تبادل كلمة واحدة مع أمها القلقة ، وأبيها الذى تابعها ببصره فى استسلام .

لم تقرأ الروايات العاطفية فى تلك الليلة كعادتها ، وإنما ظلت يقظة تقلب الأمر على كل الوجوه ، وتتقلب

مشاعرها من دقيقة إلى أخرى ، فيفيض قلبها بالحب والهيام تارة ، ثم لا يلبث أن يمتلىء بالحزن والغيرة ، ويعود فيكتسى بالحنان ، ولم يغمض لها جفن حتى أشرق الصباح .. وظهر ذلك واضحاً فى عينيها الناعستين وجفنيها المتورمين وهى تدخل ساحة الكلية فى يومها الثانى ، وبلا وعى وجدت عينيها تبحثان عنه بين الآلاف من طلاب الجامعة ، فى لهفة ، واشتياق ، وشعرت باليأس حين لم يقع بصرها عليه وسطهم ، وتراقصت دمعة فى حدقتيها ، وأسرعت تفتح حقيبتها ، وتتناول منديلا ورقياً تقتنص به دموعها ، قبل أن تفضحها وهى تنهمر على وجنتيها الورديتين ..

وفجأة ارتجف جسدها ، وسرت فى جسدها رعدة قوية ، حين سمعت من خلفها صوته الهادئ العميق يقول:

— صباح الخير .

التفتت إليه دفعة واحدة ، حتى كادت أن تتعثّر بحذائها ذى الكعب العالى ، وأسرع هو يسندها بكفيه ، وسرت حرارة كفيه فى جسدها ، فازداد ارتعادها وهى تعتدل ، وتحدّق فى وجهه الباسم الجذاب غير مصدقة ..

خيل إليها برهة أنه لا يقف أمامها حقـا ، وأنها إنمـا تعيش حلماً جميلا لن يلبث أن يتلاشى ، وارتسمت الدهشة فى ملامحه لحظة، من الطريقة التى تحدّق فيها بوجهه ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامته العذبة وهو يسـألها فى هدوء :

ـ لماذا فررت من مناقشة أمس ؟

فتحت فمها لتتكلم ، ولـكنها ارتبكت ، وتلعثمت .. تمـاماً كما حدث بالأمس ، وشعر هو بتوترهـا ، فقال وكأنه يبعث الطمأنينة فى نفسها :

ـ أنا (أحمـد جـلال) .. طالب بالسنة النهائية ، وصاحب مجلة الحائط التى دارت حولهـا مناقشة أمس ، والتى فررت منها .

ظلت تحدّق فى وجهه دون أن تنطق، فسألها فى هدوء:

ـ ألا ينبغى أن نتعارف أولا؟ إننى لم أتعرف اسمك بعد.

ـ (ريهام) .

قالتها فى لهفـة ، وكأنها تتعجـل تعارفهمـا ، فاتسعت ابتسامته وهو يسألها :

ـ حسناً يا آنسة (ريهام) .. لماذا فررت من مناقشة أمس ؟

كانت قد نسيت لقب (آنسة) هـذا منذ زواجها بـ (عبد الحميد) ؛ لذا فقد بدا عجيباً فى أذنيهـا ، حتى أنها رددته فى دهشة :

ـ آنسة ؟ !

تجلى التساؤل فى عينيه وهو يفحص أصابعهـا الخالية من دبلة الخطوبة والزواج ، وسألها فى تردد :

ـ أيضايقك اللقب ؟

ابتسمت فى مرح وهى تقول :

ـ الألقاب كلها تضايقنى .

عادت ابتسامته تتسع وهو يسألها فى تردد :

ـ هل تفضلين أن نتحدث دون ألقاب ؟

تأملت عينيه السوداوين لحظة ، ثم همست :

ـ هذا أفضل يا (أحمد) .

عاد مزيج من الدهشة والتساؤل يطلان من عينيه وهو يقول :

ـ إنك لم تجيبى عن سؤالى بعد .

استجمعت شجاعتها ، وسألته فى اهتمام :

ـ ألن يضايق حديثنا المنفرد هذا صديقتك ؟

التى حاجباه وهو يتأملها فى دهشة ، هاتفاً :

ـ صديقتى ؟ !

شعرت بنيران الغيرة تلفحها وهى تقول فى حرج :

ـ كل طالب جامعى له صديقة .. أليس كذلك ؟

اتسعت ابتسامته فجأة ، وخيل إليها أنه قد فهم المغزى وراء سؤالها ، فتخضّب وجهها بحمرة الخجل وهى تسمعه يقول ضاحكاً :

ـ تقصدين حبيبة ! .. كلا .. هذا ليس ضروريًّا ، فلم تكن لى صديقة أو حبيبة حتى الآن .

لم تشعر (ريهام) فى حياتهـا بسعادة كالتى طافت بهـا فى هـذه اللحظة ، فقد تبخرت مخاوفها من الحبيبة المجهولة دفعة واحدة ، ولم يعد بقلبها سوى الحب خالياً من الشوائب والمتاعب ، وسيطرت السعادة على عقلها وقلبها وحواسّها ، حتى أنها هتفت فى فرح دون أن تدرى :

ـ أحقًّا ؟ !

ولم تلبث أن شعرت بما تكشفه لهفتها ، فتخضب وجهها بحمرة الخجل ، وخفضت رأسها تتحاشى عينيـه

العميقتين ، ولكن صوته انساب إلى أذنها مفعماً بالعاطفة وهو يهمس :

ـ أقول حتى الآن ..

رفعت إليه عينيها فى خجل ، والتقت نظراتهما لحظة واحدة ، قبل أن تعود إلى خفض رأسها فى سعادة .. لحظة واحدة اعترف خلالها كل منهما للآخر بمكنون قلبه دون أن يتبادلا كلمة واحدة ..

لحظة واحدة ، شعر خلالها (أحمد) أنه يغرق فى بحر عينيها الزرقاوين الواسعتين ..

لحظة واحدة ، تخلى خلالها (أحمد) عن إصراره القديم فى ألا تبتلعه مصيدة الحب فى أثناء دراسته الجامعية .

لم يعد يملك هذا الإصرار .. فقد وجد نفسه فى لحظة واحدة غارقاً فى الحب حتى أذنيه ..

مضت خمس دقائق كاملة ، وهما يقفان أحدهما أمام الآخر فى صمت ، هو يتأمل ملامحهـا .. وهى تخفض وجهها خجلا ،وقلبها ينتفض فى سعادة وحب .. وأخيراً

خرجت من بين شفتيها الرقيقتين كلمات مبحوحة خجلى تقول فى همس :

– أعتقد أنه قد حان موعد محاضرتى .

همس فى حنان :

– سأنتظرك .

أسرعت تبتعد قبل أن تهزمها عواطفها، وتلقى بنفسها بين ذراعيه أمام الجميع ، وقالت وهى تلوّح له بكفها :

– إلى الغد ..

كرر العبارة فى همس :

– إلى الغد ..

وخفق قلباهما معاً ، فقد كان الغد هو موعد غرامهما الأول .

* * *



٤ – الواقع ..

كانت (ريهام) فى قمة سعادتها عندما عادت إلى الڤيلا فى ذلك اليوم .. كان عقلها قد ارتفع إلى عالم الخيال حتى صارت جزءاً منه ..

لم يعد الحب فى حياتها خيالاً تسبح فيه كل مساء .. بل أصبح واقعاً تعيشه ، وعالماً تصنعه بيديها .

هتفت فى سعادة وهى تلقى نفسها بين ذراعى أمها :

– كم تسعدنى رؤيتك يا أماه .

احتضنتها أمها فى حنان لم يخل من الدهشة والقلق كعادتها ، وتساءلت فى أعماقها عن ذلك التغيير الذى يصيب ابنتها كلما راحت أو غدت من كليتها ، وطال احتضانها لها ، قبل أن تهمس فى أذنها :

– الأستاذ (وجدى صالح) ينتظرك منذ ساعة كاملة يا بنيتى .

أعادتها العبارة فجأة إلى عالم الواقع ، فابتعدت عن ذراعى أمها وهى تسألها فى دهشة لا تخلو من الاستنكار :

– الأستاذ (وجدى صالح) المحامى ؟! .. وماذا يريد؟!

أطرقت أمها بوجهها وكأنها تتحاشى الدخول فى تفاصيل تجهلها ، وغمغمت :

– لست أدرى يا بنيتى ، ولكنه ينتظرك منذ ساعة .

وقفت (ريهام) لحظة تفكر فيما دفع (وجدى صالح) المحامى إلى الحضور ، ثم حزمت أمرها ، وتوجهت فى خطوات واسعة إلى حجرة الانتظار ، وهناك كان والدها يجلس فى جلبابه الأبيض البسيط ، يتبادل حديثاً هامشيًّا مع المحامى فى محاولة لقتل الوقت، انتظاراً لعودة ابنته ، ونهض الأستاذ (وجدى) فور رؤيته لها ، ومد كفه يصافحها وهو يبتسم كعادته ، إلا أنها تركت يده الممدودة ، وانحنت تقبل وجنة والدها أولا ، ثم اعتدلت وكست ملامحها بصرامة مفتعلة وهى تصافح المحامى ، قائلة :

– مرحباً يا أستاذ (وجدى) .. خيراً .

أجابها فى مرح مفتعل :

– إننا لم نلتق منذ وفاة المرحوم زوجك ، برغم أنك تحصلين على إيرادك من مكتبى شهريًّا ، ولقد أحببت أن أحضر لزيارتك و ...

قاطعته فى صرامة ، وهى تعلم أنه ما زال متردداً فى الإفصاح عن سبب زيارته :

– خيراً يا أستاذ (وجدى) .

تردد المحامى لحظة ، ثم خفض وجهه ، وقال :

– أشقاء السيد (عبد الحميد) – رحمه الله – يريدون رفع قضية لاستعادة الڤيلا .

هتفت فى غضب ودهشة :

– استعادة الڤيلا ؟ ! لقد تركها لى (عبد الحميد) بعد وفاته و ...

قاطعها ، قائلا :

– الشرع لا يسمح لك بأكثر من ثمن الثروة ، وأنت تحصلين على إيراد ثلث الثروة بموجب وصيته ، وهو لا يحق له أن يوصى بأكثر من الثلث ، أما الڤيلا ..

قاطعته هى هذه المرة وهى تهتف فى غضب متزايد :

– ألا تتذكرون الشرائع والقوانين إلا حين تتفق مع مصالحكم ؟ .. هل تظن أن وصية موكلك السخيفة هذه شرعية أو قانونية فيما يخصنى ؟.. أم أن هذا لم يدر بخلدكم على الإطلاق ؟

رفع إليها المحامى عينين تطل منهما الدهشة وقال :

– وصية المتوفى تحترم دائماً ياسيدتى، وكذلك القانون.

صرخت فى غضب :

– أى قانون هذا ؟

ظل والدها ساكناً هادئاً ، ولم يحاول التدخل فى الحديث مطلقاً ، واكتفى بترديد بعض الأدعية والآيات القرآنية ، على حين نهض المحامى من مقعده ، وقال :

– يبدو أنك قد فهمت الأمر على نحو مختلف ياسيدتى ، فلقد أتيت إلى هنا صديقاً ، لا خصماً ، فأنا أدير أموالك بحكم وصية المرحوم ، وأتقاضى عن ذلك أجراً محترماً ، والقانون يمنعنى من رفع دعوى قضائية ضدك ، وأنا لم أحضر لتهديدك، وإنما لتحذيرك، وأطلب موافقتك على اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد دعوى أشقاء زوجك الراحل .

شعرت (ريهام) بالخجل ، وأخذت تداعب أصابعها فى توتر ، ثم قالت :

– افعل ما تراه مناسباً يا أستاذ (وجدى) . إننى أوليك كلَّ ثقتى .

صعدت إلى غرفتها بعد انصراف المحامى مباشرة ، دون أن تتناول طعام الغداء للمرة الثانية فى يومين متتاليين ، واستلقت فوق فراشها وهى تشعر برغبة شديدة فى البكاء ، ثم لم تلبث أن تركت لدموعها العنان ، وانطلقت تبكى فى حرارة .

لم تكن قضية الڤيلا هى ما يبكيها ، وإنما الواقع الذى جذبتها إليه كلمات المحامى ...

كانت كطير يحلق حرًّا سعيداً فى سماء الخيال ، ثم أسقطته رصاصة صياد لا يبتغى طعاماً ولا يدرأ جوعاً ، وإنما يجد لذته فى حرمان الطير المسكين من حريته وانطلاقته وسعادته ..

كانت تحلق فى سماء الخيال ، عندما أوقعت بها كلمات المحامى إلى أرض الواقع ..

ازداد بكاؤها ونحيبها ، وهى ترى علاقتها بـ (أحمد) على نحو جديد ، أميل إلى التشاؤم ..

إن (أحمد) يعاملها كفتاة عذراء ..

إنه يخاطبها بلقب آنسة ، دون أن يدرى أنها أرملة أكبر مقاول فى مصر (سابقاً) ...

ثم إلى أين تنتهى علاقتها به ؟ .. هل تتزوجه وتفقد المال والثروة ؟ .. إن الزواج هو النهاية المنتظرة لكل علاقة حب نظيفة ، ولكن ...

كيف تلقى وراءها كل هذا الثراء الذى تنعم به لأول مرة ؟ ..

كيف يمكنها أن تعيد والدها إلى حلتيه اليتيمتين ، ووالدتها إلى متاعب البيت ونظافته ، وأشقاءها إلى الحاجة وتبادل الثياب ؟

كيف تفقد كل هذا بعد أن ذاقته ، واعتادت عليه ؟

لماذا يصر القدر على إحاطتها دائماً بأسوار الوحدة والقلق ؟

لماذا ينتزع منها دائماً كل أمل فى الحب والحنان ؟ ..

نهضت من فراشها ، ووقفت أمام المرآة تتأمل جمالها الفتان ، وأدهشها ذلك الشحوب الذى بدأ يزحف إلى بشرتها ، وأدهشتها عيناها المتورمتان من كثرة البكاء ، وقلة النوم ..

واتخذت (ريهام) قرارها فى حزم كعادتها ...

قررت أن تصارح (أحمد) بكل شىء ، وليكن ما يكون ، ولكن قرارها الحازم هذا لم يهدئ من ثورتها

وقلقها ، بل دفعها إلى التقلب فى فراشها طوال الليل دون أن يغمض لها جفن ، برغم إحساسها العنيف بالإرهاق والتعب ..

بدت شديدة الشحوب وهى تلتقى بـ (أحمد) فى اليوم التالى ، حتى أنه هتف فى دهشة ، وهو يتأمل ملامحها :

ـ ماذا أصابك يا (ريهام) ؟ إنك تبدين شديدة الشحوب ! !

أجابته فى إعياء :

ـ لا عليك .. إنه بعض الإرهاق فحسب .

أسعدتها لهفته عليها ، وجزعه لشحوبها ، وأسئلته المتوالية للاطمئنان على صحتها وهو يقودها إلى الكافيتيريا ، حيث انتحيا منضدة منعزلة ، وسألها فى قلق :

ـ ماذا بك حقاً يا (ريهام) ؟

تطلعت إليه بعينين ذابلتين ، وقالت :

ـ اطمئن يا (أحمد) ، إنه مجرد إرهاق بسيط ، سيزول بعد تناولى قدحٍ من القهوة .

سألها فى قلق :

ـ أنك لم تحصلى على ما يكفيك من نوم .. أليس كذلك ؟

ابتسمت وهى تهمس مداعبة :

– كنت أفكر فيك .

ضحك فى مرح وهو يقول :

– يا إلهى !! لقد كنا نفعل الشىء نفسه إذن .

رشفا أقداح القهوة فى صمت ، ثم بدأ هو الحديث قائلا :

– أعتقد أنه من حقك أن تعلمى كل شىء عنى فى بداية تعارفنا .

ارتجف قلبها اضطراباً ، فقد خشيت أن يطالبها بالمثل ، ولكنها احتفظت باضطرابها داخلها ، واكتفت بتأمل ملامحه الوسيمة الهادئة ، وهو يقول فى جدية :

– اسمى (أحمد عبد الله جلال) ، طالب بالسنة النهائية كما سبق أن أخبرتك ، وترتيبى هو أول دفعتى خلال السنوات الثلاث الماضية ، وأنوى الاحتفاظ بهذا التفوق ، حتى يمكننى الحصول على درجة معيد ، بعد تخرجى بمرتبة الشرف بإذن الله .. والدى موظف عادىّ بإحدى شركات القطاع العام ، مرتبه يكفى لأن نبدو دائماً بمظهر مشرف أمام الناس ، ولكنه لا يكفى لادخار قرش واحد ، وهذا يعنى أنه لن يتمكن من معاونتى على الزواج ، وسأعد كل شىء بنفسى ، لى شقيقة واحدة تدعى (هالة) ،

وهى تصغرنى بثلاث سنوات ، شديدة المرح ، أنيقة المظهر ، على الرغم من أنها ترتدى دائماً ثياباً رخيصة الثمن .

ذكرها حديثه بالحياة التى كانت تحياها فى منزل والدها ، قبل زواجها من (عبد الحميد) ، وشعرت فى أعماق نفسها بالخجل ، وودت لو استطاعت إخفاء ثوبها الذى يبلغ ثمنه مرتب والد (أحمد) فى عام كامل ...

شعرت لأول مرة بالخجل من ثرائها .. ولم يلبث خجلها أن تحول إلى مزيج من الخوف والتوتر حينما أقدم (أحمد) على ما كانت تخشاه منذ بداية حديثهما ، إذ سألها فى بساطة :

– وأنت يا (ريهام) ؟ ! .. أريد أن أعرف كل شىء عنك .

نهضت فى هدوء وهى تقول :

– دعنا نذهب إلى مكان آخر خارج الجامعة يا (أحمد) .

نظر إليها بدهشة ، وقال :

– ولم ؟ ! .. أليس من الأفضل أن نتحدث هنا أمام الجميع ؟

قالت وهى تغالب دموعها :

ـ أرجوك يا (أحمد) .

أطاعها فى صمت ودهشة ، ولكنه ظل طول الطريق إلى بوابة الكلية صامتاً ، متسائلا ، وتوقفت هى لحظة خارج البوابة ، وترددت برهة ، ثم أشارت إلى السيارة البيضاء الفارهة التى تعمدت اختيارها لهذا الصباح ، وقالت :

ـ سنذهب بسيارتى إلى كازينو صغير فى المقطم و...

بترت عبارتها حينما رأت الذهول المرتسم فى عينى (أحمد) ، وهو يتأمل السيارة الفارهة ، وازدادت رغبتها فى البكاء حينما أخذ ينقل بصره بينها وبين السيارة فى ضيق واضح ، وسالت دموعها بالفعل حينما هتف فى حدة :

ـ هل تمتلكين هذه السيارة ؟

تماسكت وهى تفتح باب السيارة الفارهة ، وتدس جسدها الضئيل خلف عجلة القيادة ، ثم تفتح الباب المجاور لها ، قائلة :

ـ هيا يا (أحمد) .

تردد (أحمد) بعض الوقت ، ثم اتخذ مقعده إلى جوارها ، وظل صامتاً ، واضح الغضب ، وهى تدير محرك السيارة ، وتنطلق بها عبر شوارع القاهرة المزدحمة ..

ظل كلاهما صامتاً حتى وصلت السيارة إلى ذلك الكازينو الصغير فى المقطم .. ولم يبدأ الحديث بينهما إلا بعد أن وضع النادل كوبى عصير الليمون أمامهما ، وانصرف صامتاً .. هنا فقط قال (أحمد) فى سخرية تفوح منها رائحة المرارة :

ـ أعتقد أن مرتبى بعد التخرج لن يكفى وقوداً لسيارتك .

ضايقتها سخريته ، فقالت :

ـ الثراء ليس عاراً يخشاه المرء يا (أحمد) .

غمغم فى غضب :

ـ أنا لم أقل ذلك .

هتفت فى جرأة أدهشتها :

ـ أنا أحبك يا (أحمد) .

سبح بعينيه فى زرقة عينيها وهو يهمس :

ـ وأنا أذوب حبًا لَكِ يا (ريهام) .

ثم عاد الضيق يكسو ملامحه وهو يستطرد :

ـ ولكن ..

سألته فى حدة :

– ولكن ماذا؟ .. الحب لايعرف الحواجز والسدود، إنه يحطمها جميعاً فى طريقه .

قال فى ضيق :

– الحب ليس أنانية يا (ريهام) .

قالت فى دهشة :

– وما لنا والأنانية ؟ !

تطلع إليها فى حزن أطل من عينيه كسهام من نار تخترق قلبها ، وقال بهدوئه المعهود :

– زواجى منك مع كل هذا الفارق المادىّ سيكون منتهى الأنانية من جانبى يا (ريهام) ..

انسالت دمعة صامتة من عينيها، على حين استطرد هو :

– الحب فيض من العطاء المتبادل يا (ريهام) .. عطاء بين رجل وامرأة ، وهذا العطاء لا يتخذ صورته الصحيحة ، إلا بين كفتين متوازنتين ، يعطى الرجل فى إحداهما الحنان والأمان المادىّ والعاطفىّ ، وتعطى المرأة الاستقرار والحب والدفء ، وأى خلل فى هذا الميزان

يرجح إحدى الكفتين عن الأخرى ، وتفقد العلاقة توازنها ، وينهار الحب فى النهاية .

انهمرت دموعها غزيرة ، على حين واصل هو قائلا:

– كنت أظنك فى البداية واحدة من أبناء أسرة عادية ، يكافح عائلها كى يؤمن لها المظهر الجيد والحياة الكريمة ، فى هذه الحالة كنت ستحتملين سنوات الكفاح التى تنتظرنا قبل أن نصل إلى هذه الحياة الكريمة ، ولكن من الواضح أن والدك رجل بالغ الثراء حتى يؤمن لك مثل هذه السيارة الفارهة ، وأنك لن تحتملى شهراً واحداً فى الكفاح .

هتفت وهى تبكى:

– والدى بالغ الثراء ؟ ! .. يالها من مهزلة !! .. إن والدى مجرد موظف عادىّ أيضاً يا (أحمد) .

اتسعت عيناه دهشة وهو يتطلع إليها مغمغماً فى تردد:

– ماذا تعنين يا (ريهام) ؟

وجدت نفسها فجأة تندفع لتقص عليه كل شىء .. كل التفاصيل ، دون أن تهتم بالشحوب الذى يكسو وجهه

كلما استطردت فى روايتها ، وحينما انتهت كانت دموعها قد جفت ، وكأنما شعرت بالراحة بعد أن أفرغت ما بجعبتها ، على حين كان وجهه قد بلغ من الشحوب حداً جعله يقترب من اللون الأبيض .. ومر وقت طويل من صمت قاس عنيف إلى أن نهض هو فى صعوبة ، وقال وهو يشيح بوجهه عنها :

– هيا بنا .. إننى لم أعد أحتمل البقاء .

• • •

٥ – الانهيار ..

لم تبك (ريهام) مثلما بكت ذلك المساء ، فاضت الدموع من عينيها غزيرة ، حتى خيل إليها أن مقلتيها قد جفتا إلى الأبد ..

كانت تبكى وهى تردد اسم (أحمد) ، الذى فقدته إلى الأبد ..

فقدت أول حب فى حياتها .. أول حب حقيقى .. وأخذت تلعن (عبد الحميد) ، وزواجها منه ، لعنت حياتها وقدرها ومستقبلها ..

وأخيراً انهار جسدها الضئيل ، الذى لم يحتمل ليلة ثالثة بلا نوم ، وراحت فى غيبوبة عميقة وهى تبكى .. كانت تبكى فى غيبوبتها ، حتى ابتلت وسادتها بنهر من الدموع الساخنة ، التى لم تلبث أن جفت فوق وجنتيها الشاحبتين مع مطلع النهار ..

كانت الساعة تدق تمام السابعة حينما دخلت أمها إلى حجرتها لتوقظها ، وضربت صدرها براحتها فى لوعة وجزع عندما رأت وجه ابنتها الشاحب ، والدموع التى

تبلل وسادتها فى غزارة ، فأسرعت توقظها فى لهفة ، وقد خيل إليها أنها قد فقدتها فى ظلام الليل ..

فتحت (ريهام) عينيها الذابلتين ، اللتين فقدتا بريقهما، وتطلعت إلى أمها فى شرود ، وتنهدت الأم فى ارتياح وهى تضم ابنتها الشاحبة إلى صدرها ، وتسألها فى حنان وحزن وهى تربّت على شعرها :

– ماذا أصابك يا بنتى ؟

شعرت (ريهام) بدفء صدر أمها ، وبذراعيها الحانيتين حولها ، فاستكانت بين أحضانها ، وسالت الدموع من عينيها فى صمت ، وشعرت الأم الطيبة بدموع ابنتها ، فعادت تسألها ، وقلبها ينفطر حزناً :

– ماذا بك يا بنتى؟ .. لا ريب أنها عين الحسود التى أصابتك ، لا بد أن أطوف حولك بالبخور قبل ذهابك إلى الكلية اليوم .

انسلت (ريهام) من بين ذراعى والدتها ، ونهضت تتأمل وجهها الشاحب فى المرآة، ثم قالت فى صوت حزين:

– لن أذهب إلى الكلية يا أمى .

سألتها أمها فى طيبة :

– ألا توجد محاضرات لكم اليوم ؟

أجابتها فى حدة :

– لن أذهب مطلقاً .. لقد كرهت الجامعة والدراسة.

قلبت الأم كفيها فى حيرة ، وأطل الحزن من عينيها عميقاً وهى تتساءل عما أصاب ابنتها الحبيبة ، ولكنها فى قرارة نفسها حمدت لها عدم ذهابها إلى الكلية ، فأحوال ابنتها فى تقلب مستمر منذ ذهابها إلى الكلية ، وربما يعيد لها ابتعادها عنها الاتزان والمرح ..

وفى هدوء وصمت تسللت الأم خارج حجرة ابنتها ، وأغلقت الباب خلفها فى حرص ، وكأنها قد شعرت بفطرتها أنها تحتاج إلى الخلوة بنفسها ..

ظلت (ريهام) تتأمل ملامحها فى المرآة طويلا ، وهالها ذلك الشحوب الذى أذبل جمالها الفتان ، وذلك التورم فى جفنيها ، الذى أطفأ بريقهما الجميل ، وأزاحت بكفها خصلات شعرها الناعم المتهدل بلا انتظام حول وجهها ، وسرحت بأفكارها إلى لقائها بـ (أحمد) ، وحديثهما الذى انتهى بفراقهما فى الكازينو الصغير ، حيث أصرّ على العودة

فى واحدة من سيارات الأجرة ، ورفض ان تصحبه فى سيارتها ..

لحظتها فهمت أنه ينهى علاقتهما قبل أن تبدأ ، وبحزم .

جلست على طرف فراشها وهى تتساءل عما أخطأت فيه ، لقد تزوجت زواجاً شرعيًّا من (عبد الحميد الدمنهورى) ، وكانت له نعم الزوجة حتى توفاه الله ، لم تجرح شرفه طوال حياتها معه ، على الرغم من كراهيتها الشديدة لكل ما يتعلق به ، كانت تكره حديثه السوقى ، وأسلوبه الحيوانى فى التعامل معها ، وبخله الشديد فى كل ما يتعلق بها ، ولكنها حافظت على شرفه كأى زوجة شريفة مخلصة ..

انتهت بأفكارها إلى أنها تزداد وحدة وابتعاداً عن الناس ، كلما تقدم بها العمر ..

عادت تتأمل ملامحها فى المرآة ، وبدأت تضع مساحيق التجميل فوق وجهها بإسراف لأول مرة ، وكأنها تحاول إخفاء آثار الشحوب والحزن من محياها الجميل ..

كانت قد انتهت من ارتداء ثيابها ، واستكملت زينتها حينما دخل شقيقها الصغير إلى حجرتها ، وقال فى احترام:

– أبلة (فوزية) تنتظرك مع الأستاذ (فاضل) ، والأستاذ (فتحى) فى حجرة الصالون .

زوت ما بين حاجبيها الرفيعين فى ضيق وتساؤل ، فلم يكن من المألوف أن يزورها أشقاء زوجها .. إنها فى الواقع لم ترهم منذ وفاة (عبد الحميد) ...

انتابتها موجة من التحدى وهو تقول :

– أخبرهم أننى سأقابلهم بعد قليل .

ظلت روح التحدى تصول فى أعماقها حتى دخلت لاستقبالهم فى حجرة الصالون ، وصافحها (فاضل) و (فتحى) فى برود ، على حين تطلعت (فوزية) إلى زينتها الصارخة ، وابتسمت فى سخرية وهى تقول :

– صباح جميل يا عروس .

تجاهلت (ريهام) رنة السخرية فى صوت (فوزية)، كما تجاهلت إصرار هذه الأخيرة على الحضور بملابس سوداء ، وكأنها تؤكد استمرار حزنها على شقيقها ، بعكس (ريهام) التى ترتدى ثوباً فى لون الفستق، مزيَّناً بزهور خضراء زاهية .. وجلست (ريهام) على المقعد

المقابل للأشقاء الثلاثة ، وتأملت ملامحهم لحظة ، قبل أن تقول فى لهجة يبدو التحدى واضحاً فى كل حرف منها :

– خيراً ، هل تتعجلون الاستيلاء على الفيلا ؟

تبادل (فاضل) و (فتحى) نظرات صامتة غاضبة ، على حين ازدادت ابتسامة (فوزية) سخرية وهى تقول :

– ستئول إلينا الفيلا إن آجلا أو عاجلا ، ولكن حضورنا اليوم من أجل الحفاظ على شرف شقيقنا الراحل– رحمه الله ...

سألتها (ريهام) فى دهشة :

– شرف شقيقكم ؟ ! .. وماذا أصاب شرفه – والعياذ بالله ؟

نقلت الأم بصرها فى حيرة وقلق بين (فوزية) و (ريهام) ، على حين اتكأت (فوزية) بذقنها على قبضتها المضمومة ، إلا من سبابتها وإبهامها ، اللذين يداعبان ذقنها وهى تقول فى لهجة شامتة ساخرة :

– يقولون : إن شرف شقيقنا قد تناثر بالأمس فوق جبل المقطم .

احتقن وجه (ريهام) غضباً ، وشحب وجه أمها ، وقد أدركت ما تعنيه هذه الكلمات ، وساد صمت مريب بضع لحظات ، تبادل خلالها الأشقاء الثلاثة نظرات الشماتة والسخرية ، ثم قالت (ريهام) فى صوت محتد غاضب :

– منذ متى ترسلون جواسيسكم خلفى ؟

تجاهلت (فوزية) سؤال (ريهام) ، وقالت فى لهجة أكثر شماتة :

– من الأفضل لأرملة مثلك أن تتزوج ، بدلا من أن تصحب الشبان إلى كازينوهات المقطم و ...

صرخت (ريهام) فى غضب وهى تقفز من مقعدها :

– اخرسى أيتها البومة الشريرة .

اتسعت عيون الجميع دهشة من هذا الهجوم المباغت ، على حين لم تمنحهم (ريهام) الفرصة لصد هجومها وهى تلوح بذراعيها ، وتستطرد فى غضب :

– إننى أشرف منكم جميعاً ، إن أحداً لم ولن يمسنى بشىء إلا حلالا خالصاً ، لقد نشأت فى بيئة محافظة ، ولم أصعد من الحضيض إلى سلالم الثروة مثلكم .

استعادت (فوزية) قدرتها على الهجوم بسرعة ، وصرخت فى وجه (ريهام) :

– كفى هراء .. إنك تخشين الزواج حتى لا تفقدين أموال أخى ، وتفضلين العيش فى الحرام و ...

بلغ غضب (ريهام) ذروته وهى تصرخ :

– اخرسى أيتها العانس الشمطاء ، لو أنك تقبلين العيش فى الحرام ، فأنا أرفضه تماماً ، وحينما أقرر الزواج سألقى خلفى كل أموال شقيقكم هذا ، وسأ ...

بترت عبارتها فجأة وقد تجلت لها حقيقة قاسية .. ودار فى رأسها سؤال مباغت ..

هل هى قادرة حقًّا على التخلى عن الثراء والرفاهية ، اللذين تعيشهما الآن ؟

هل تمتلك الشجاعة على العودة إلى حياة الاحتياج ، وإلى الدخل الذى يكفى حاجة البيت بالكاد ؟ ..

هل يمكنها حقًّا أن تلقى كل هذا الثراء خلفها إذا ما أحبت ؟

تساءلت لحظتها : هل كان بإمكانها ذلك لو طلب (أحمد) زواجها ؟

حطم هذا التساؤل كل قدرتها على المقاومة ، فانهارت فوق مقعدها ، ودفنت وجهها بين كفيها وهى تلهث من الانفعال ، ولكنها لم تبك ..

خيل إليها لحظتها أن دموعها قد جفت حقًّا ، وأنها لن تبك إلى الأبد ..

وفى هدوء نهضت (فوزية) ، ونهض شقيقاها (فاضل) و (فتحى) ، وقال هذا الأخير فى حدة قبل أن ينصرفوا جميعاً :

– سنلتقى فى ساحات المحاكم ، وسينال كل منا جزاءه وحقه .

لم ترفع (ريهام) وجهها من بين كفيها إلا بعد أن غادروا الفيلا جميعاً ، واقتربت منها والدتها تسألها فى توتر :

– ماذا يعنون بقصة المقطم هذه يا بنتى ؟

أجابتها فى صوت أقرب إلى البكاء :

– دعينى وحدى يا أمى .. أرجوك .

أطاعتها أمها فى استسلام كعادتها ، وقلبها ينبض بالقلق والحيرة ، على حين أسندت (ريهام) رأسها إلى ظهر مقعدها ، وأغلقت عينيها ، وأخذت تفكر ..

لم تكن تتصور أن الثراء يمكنه أن يجلب إلى المرء كل هذه التعاسة ..

هذا الثراء الذى ظلت تحلم به طيلة حياتها أضاع منها الحب والراحة ، وحتى الأحلام ..

ولكن هل تستطيع التنازل عنه دفعة واحدة ؟

هل أصبح هذا من حقها بعد أن اعتاد والدها ووالدتها وأشقاؤها العيش السهل ، الذى لا يخشى المرء فيه على طعامه ونومه وكسائه ؟

أرعبتها فكرة العودة إلى حيـــاة الحاجة ، حتى أنها نفضتها فى ذعر ، ونهضت تعدل من هندامها ، ثم اكتست ملامحها بالصرامة وهى تسرع الخطا نحو باب الفيلا ، وأوقفتها والدتها وهى تسألها :

– إلى أين يا بنتى ؟

أجابتها فى شرود :

– إلى النادى .. لم يعد أمامى سواه ؟

هزت الأم رأسها فى أسى ، تمتمت فى حزن :

– هداك الله يابنتى .

* * *

٦ ـ الحنـــان ..

شهر كامل مرّ منذ آخر لقاء لها مع (أحمد) .. شهر كامل وهى تكتوى بنار اللهفة والعذاب فى كل لحظة ..

جافاها النوم حتى لم يعد يتسلل إلى جفنيها إلا لماماً ..

ازدادت نحولا حتى فقد وجهها استدارته ، وغارت وجنتاها ، وذبل جمالها الفتان ..

لم تعـد تشعر بمتعـة فى الحـديث ، فأصبح الصمت رفيقها الأول ..

فقدت متعة الطعام ، فهزل جسدها ، وفقد تناسقه ..

لم تعد تذهب إلى الكلية ، أو النادى ..

لم تعد تقيم الحفلات فى حديقة الفيلا ..

حتى الروايات العاطفية فقدت بريقها ، وضاع منها عالم الخيال ..

ازدادت وحدتها عن ذى قبل .. وازداد انعزالها عن الجميع ..

كانت تجلس بالساعات فى شرفة حجرة نومهـا شاردة البصر والفكر ..

كانت فى عينيها صورة واحدة لا تفارقها .. صورة (أحمد) وهو ينهض غاضباً بعد لقائهما الأخير فى المقطم ..

وفى صباح ذلك اليوم من أيام شهر نوفمبر بلغ بها الشوق إلى رؤيته مبلغاً لا يقاوم ، وقررت الذهاب إلى الكلية لرؤيته ، حتى وإن كان ذلك إهداراً لكرامتها ، أو إحساساً بالهزيمة .. ولكن أى إهدار للكرامة فى محب يتوق إلى نظرة من عينى محبوبه .. وأية هزيمة فى حنان دافق بين قلبين ..

اختارت ثوباً سماوياً فى لون عينيها ، محتشماً كعادتها ، تزينه نقوش زرقاء متناثرة فى أناقة ، وصففت شعرها فى عناية ، وحرصت على اختيار لون هادئ لشفتيها ، ولم تضف أية مساحيق تجميل أخرى ..

كانت تبدو أكثر جمـالا دون مساحيق ، وشعرت بالارتياح وهى تتأمل وجهها فى مرآة حجرتها ، وهبطت إلى بهو الڤيلا فى خطوات هادئة ، وألقت تحية الصباح لأول مرة منذ شهر كامل على والدتهـا ، ووالدها الذى جلس يتناول طعام إفطاره البسيط قبل ذهابه إلى عمله ، وترددت والدتها قبل أن تسألها :

— إلى أين فى هذا الوقت المبكر يا (ريهام) ؟

أجابتها فى هدوء :

— إلى الكلية يا أماه .

ارتفع حاجبا الأم الطيبة فى دهشة ، على حين تطلع الوالد إلى ابنته ، وتمتم ببضع كلمات غير مسموعة ، ثم عاد إلى طعامه وكأن الأمر لا يعنيه .

انطلقت هى إلى الكلية فى سيارتها الصغيرة ، وعبرت بوابتها فى تردد ، وقلبها يرتجف للقاء المرتقب ، ووقفت تدير عينيها بحثاً عنه كعادتها ، ثم جرجرت ساقيها إلى كل مكان يمكنها أن تجده فيه ، ذهبت إلى ركن صحافة الحائط.. إلى الكافيتريا.. راجعت جدول محاضراته .ولكنها لم تعثر له على أثر ..

فكرت أن تسأل عنه أحـد زملائه ، ولكنها كشفت حينئذ حقيقة لم تدر بخلدها مطلقاً ، كشفت أنها لا تعرف من طلبة الكلية سواه ، لا من زملائه ، ولا من طلاب دفعتهـا .. كشفت أن الكلية كلها كانت فى نظرها شخصاً واحداً .. (أحمد جلال) ..

تملكها اليأس بعد بحث طويل ، ودفعها إلى إتيان عمل

جرىء ، لم تكن لتتصور قدرتها على إتيانه فى الظروف العادية ..

أوقفت شابًا لا تعرفه ، وسألته فى لهفة تنم عما يدور فى أعماقها :

ـ هل رأيت (أحمد) اليوم ؟

تطلع إليها الشاب فى دهشة وتساؤل ، فأردفت على عجل :

ـ (أحمد جلال) الذى يكتب صحف الحائط .

ارتفع حاجبا الشاب فى شكل ينم عن معرفته بالأمر ، وهتف وهو يتأملها :

ـ (أحمد جلال) ؟ ! .. ألا تدرين ما أصابه ؟

اختلج قلبها فى جزع وهى تردد :

ـ ما أصابه ؟ !

أسرع الشاب يقول :

ـ لقد كان يحاول تعلم قيادة السيارات ، عندما اصطدمت سيارته بأخرى من نوع النقل الثقيل ، وتحطمت ساقه عن آخرها .

لم تدر كيف وصلت إلى مستشفى (قصر العينى) حيث يرقد حبيبها ...

لم تدر كيف عبرت شوارع القاهرة المزدحمة وعيناها مغرورقتان بالدموع ، وقلبها يبكى فى لوعة ..

اكتشفت أخيراً أن دموعها لم تجف بعد ، وأنه مازال لديها فيض هائل منها ..

كانت تبكى وهى تصعد إلى الطابق الثالث ، حيث يرقد (أحمد) ، ولكنها وقفت على باب حجرته ترتجف كطير رقيق مبتل ، وتجفف دموعها حتى لا يراها باكية ، ثم طرقت باب الحجرة فى تردد ، وجاءها صوته ضعيفاً واهناً وهو يطلب منها الدخول ..

ترددت لحظة وهى تتصور أنها لن تجرؤ على مواجهته ، ثم دفعت الباب ، وخطت إلى الحجرة فى صمت ...

لم تعرفه للوهلة الأولى حينما وقع بصرها عليه ، كان قد ازداد نحولا حتى غارت عيناه فى محجريهما ، وبرزت عظام فكه إلى الأمام ...

ولم يعرفها هو أيضاً حينما وقع بصره عليها اللحظة الأولى ، فقد أصابها ما أصابه ، وأفقدها الحب بريقها ورونقها ..

ولكن شيئاً واحداً فيه لم يتغير .. وشيئاً واحداً فيها لم يتبدل ..

عينيه السوداويين المليئتين بالحنان والقوة .. وعيناها الواسعتين فى لون البحر ..

ومن عينيها .. ومن عينيه انطلقت نظرة حب لامثيل لها ، التقت فى منتصف المسافة بينهمـــا ، ثم ارتدت إلى قلبيهما ، اللذان ارتجفا فى وله ، وانتقـل ارتجافهما إلى شفتيهما ، فنطق كل منهما اسم الآخر ، وسط فيض من الحب والحنان ..

اندفعت نحوه فى عشق ، والتقط كفها الرقيق بين راحتيه ، وغرق كل منهما فى عينى الآخر ، وسقطت قطرة دمع ساخنة من عينيها بللت وجهه وهى تقول فى صوت متهدج :

– لم أطق الابتعاد طويلا .

همس دون أن يحول عينيه عن عينيها :

– أحبك ..

لم تصدق أذنيها وهى تسمعه ينطق الكلمة التى طـــال

اشتياقها لها ، وارتفع حاجباها فى حنان وهى تتأمل وجهه النحيل ، ثم همست وهى تمسح شعره بكفها فى رقة :

– لقد نحلت كثيراً .

همس وهو يضم كفها الآخر بين راحتيه ، وكأنه يخشى أن تبتعد عنه :

– وأنت أيضاً .

جلست إلى جـواره على حافة الفـراش ، ولاحظت ساقه المعلقة وسـط الجبس لأول مـــرة ، فهمست وهى تبتسم فى حنان :

– حمداً لله على سلامتك .

ابتسم وهو يقول :

– إنه مجرد كسر بسيط .

ضحكت فى مرح مفتعل وهى تقول :

– هل اعتدت دائماً أن تهوّن من شأن الأمور ؟

هز رأسه وهو يقول :

– ليس دائماً .

ابتسمت وهى تتسلل بأناملها وسط خصلات شعره الناعم الغـزيـر ، وسبحت وسـط بحر من الخيال والحب

وهى تتأمل محياه الذى لم يفقد وسامتـه ، برغم نحوله الشديد ، إلا أنه فاجأها ، قائلا :

- هل تتزوجينى يا (ريهام) ؟

كان السؤال مباغتاً حتى أنه انتزعها انتزاعاً من عالم الخيال ، وأعاد إليها كل مخاوفها من العودة إلى الحاجـة وفقدان الثراء ، وترددت طويلا وهى تتأمل ملامحه ، ولاحظ هو ترددها ، فاكتست ملامحه بالغضب ، وترك كفها من راحته ، وقال فى حدّة :

- لِمَ ترددت ؟

حاولت أن تبحث عن جواب يرضيه ، ولكن هذا زاد من ترددها الواضح ، فهتف هو فى غضب :

- يمكنك أن تنسى السؤال الذى سألته لك منذ لحظات.

التمعت الدموع فى عينيها وهى تقول فى توسل :

- لا تفسد هذه اللحظة يا (أحمد) .. أرجوك .

بدا وكأنه لم يستمع إليها وهو يواصل اندفاعه فى حدة :

- لقد أخطأت حينما تصورت لحظة أنك قادرة على التنازل عن الثراء من أجل .. من أجل زواج شريف ،

ولكنك ستظلين هكذا دائماً ، المال هو المحرّك الأساسى لعواطفك .

بكت لهذا الاتهام الجارح ، وقالت بكلمات خرجت من بين دموعها مرتعدة :

- إننى لم أخطئ من قبل .. لقد تزوجت على سنة الله ورسوله .

صاح فى تهوُّر :

- تزوجت رجلا يكبرك بأربعين عاماً كاملة من أجل المال ، وترفضين الزواج للمرة الثانية أيضاً من أجل المال.

بقدر ما كانت كلماته جارحة ، إلا أنها كانت تحمل قدراً كبيراً من الحقيقة ، ألجم لسانها ، ومنعها من النطق والاعتراض.. واكتفت بالبكاء وهى تتطلع إليه فى صمت..

تسللت دموعها إلى شغاف قلبه ، فألجمت لسانه أيضاً وقد شعر بالندم على كل ما وجهه إليها من إهانات ، وظل كلاهما يحدّق فى وجه الآخر صامتاً بعض الوقت ، ثم همست هى من خلال دموعها :

- (أحمد) ..

حاول أن يهمس باسمها ، ولكن شيئاً ما فى أعماقه

بدّد هذا الهمس قبل أن يقفز إلى شفتيه ، وعندما حاول مرة أخرى تبددت محاولته لسبب خارجىّ .. فقد فتح الباب فى هذه اللحظة ، واندفعت فتاة رقيقة ، سوداء الشعر ، تحمل نفس ملامحه الوسيمة .. نفس ابتسامته الجذابة ، وهتفت فى مرح :

– كيف حال بطل سباق السيارات ؟

ثم توقفت فجأة وهى تنقل بصرها بين وجه (أحمد) المتجهّم ، والدموع المنسالة على وجنتى (ريهام) الذابلتين ، ومضت لحظة من صمت متسائل ، قبل أن تهتف الفتاة فى مرح :

– اتركونى أخمن .. أنت (ريهام) . أليس كذلك ؟

ثم اندفعت تحتضن (ريهام) وهى تواصل فى مرح :

– لقد عرفتك على الفور ، فـ (أحمد) يتحدث عنك كثيراً .

أشاح (أحمد) بوجهه ، وكأنه يرفض ما تقوله الفتاة ، على حين خفضت (ريهام) عينيها ، وقالت فى ضعف :

– وأنت (هالة) شقيقة (أحمد) .

ضحكت (هالة) فى مرح مصطنع ، وقد تملكتها الدهشة من تجهمهما ، وقالت :

– هل حضرت فى لحظة غير مناسبة ؟

لم تحتمل (ريهام) كل هذا القدر من الحزن ، فاندفعت فجأة تغادر الغرفة ، وتبعتها (هالة) فى دهشة ، ثم التفتت إلى شقيقها وسألته :

– ماذا فعلت لها ؟

أشاح بوجهه وهو يغمغم :

– بل قولى ماذا فعلتْ بنفسها ؟

* * *



٧ ـ الأمل ..

بدت (ريهام) شديدة العصبية هذا المساء ، حتى أن الجميع تحاشوا مجرد سؤالها عما يقلقها ..

لم يغادر والدها حجرته، وانهمك فى قراءة القرآن، وتلاوة بعض الأدعية فى هدوء ..

وتشاغلت والدتها بترتيب بعض الأشياء ، التى أعادت ترتيبها لعاشر مرة ...

وانزوى أشقاؤها الصغار يتبادلون حديثاً هامساً فى ركن من أركان الرَّدهة ..

وظلت هى تجول وحيدة فى حديقة الفيلا ...

كانت تحاول حسم رأيها فى الاختيار ما بين الثراء والزواج .. كان أقصى ما تتمناه هو الزواج من (أحمد) ، الذى أصبح كل شىء فى حياتها ، ولكن خوفها القديم من الحاجة وعدّ القروش خوفاً من الفقر يعاودها كلما حاولت تخيل حياتها مع (أحمد) بعد الزواج ..

لم تكن ترغب فى تكرار حياتها السابقة وسط أسرتها.. كانت تتخيل نفسها وقد تزوجت (أحمد) ، وتخلت عن

المال والجاه ، ثم بدأت نفس المشاكل المادية القديمة تحيط بهما ..

رأته بعين الخيال يرتدى حلة واحدة يحرص على نظافتها والعناية بها كما كان يفعل والدها ، ورأت نفسها تذوى وتذبل مع انهماكها فى أعمال البيت ، كما أصاب والدتها ، تصورت أنهما يدخران القروش من أجل شراء ثوب جديد لها ، أو علاج طفل مريض .. تخيلت (أحمد) فى ثياب رثة يستدين فى إذلال لشراء دواء ينقذ به طفله .. وأفزعتها هذه التصورات .. أثارت فى أعماقها رعباً طالما حاولت إخماده .. شعرت لحظة أنها لن تستطيع التخلى عن الثروة التى تنعم بها مطلقاً ..

ثم عاودها الحنين إلى (أحمد) ، وعادت تتصور حياتها معه ، مع كل هذه الطاقة التى يملكها من حب وحنان وعطاء ، وفجأة عاد شبح الحاجة يبرز وسط الصورة ، ويشوهها ، ويحطم جمالها ورونقها ..

ضربت (ريهام) كفيها فى عصبية ، وجذبت ورقة من أوراق الشجيرات المنتشرة فى حديقة الفيلا ، وألقت بها بعيداً ، ولكن هذه الحركة الانفعالية لم تلبث أن بعثت

فى قلبها انقباضاً عجيباً ، فأسرعت تلتقط الورقة ، وتحاول إعادتها إلى فرعها عبثاً ، وسرعان ما تنبهت إلى استحالة ذلك ، فعادت تلقى الورقة فى عصبية ، وقد زاد قلبها انقباضاً ، وأسرعت ترتقى درجات السلم إلى ردهة الفيلا ، وانتحت ركناً منعزلا ، وجلست صامتة واجمة ، إلى أن اقتربت منها واحدة من خادمات الفيلا ، وقالت فى تردد وكأنها تخشى ثورة سيدتها :

– هناك آنسة تطلب مقابلتك يا سيدتى .

رفعت عينيها إلى الخادمة فى تساؤل ، ومرت لحظة من الصمت ، قبل أن تسألها فى لهفة أدهشت الخادمة :

– آنسة ؟ ! .. ما اسمها ؟

أسرعت الخادمة تقول :

– إنها تدعى (هالة جلال) و ...

وقبل أن تتم الخادمة عبارتها قفزت (ريهام) من مقعدها ، وانتفض قلبها ببارقة من أمل ، انتشر فى أعماقها ، وأسرعت فى خطوات كالقفز إلى باب الفيلا ، حيث استقبلت (هالة) فى حفاوة أدهشت هذه الأخيرة ، حتى أنها هتفت فى مرح :

– يا إلهى ! ! لو أننى أتوقع كل هذه الحفاوة لحضرت إلى هنا منذ زمن طويل .

قالت (ريهام) فى لهفة وهى تقودها إلى حجرة الصالون :

– أنت على الرحب والسعة دائماً يا (هالة) .

جلستا فى حجرة الصالون ، وظلت (هالة) صامتة تتأمل الأثاث والرياش الفاخر ، على حين أخذت (ريهام) تفرك كفيها فى عصبية ولهفة ، وعيناها متعلقتان بشفتى (هالة) ، التى طال صمتها ، إلى أن هتفت (ريهام) وقد نفد صبرها :

– كيف حال (أحمد) ؟

ابتسمت (هالة) وهى تقول :

– بخير .. لقد رأيته هذا الصباح .. أليس كذلك ؟

عاد الصمت يسدل أستاره بينهما إلى أن قالت (ريهام) فى لهجة تكشف عن مدى لهفتها وقلقها :

– لقد أتيت تبلغينى شيئاً ما يا (هالة) .

مطت (هالة) شفتيها ، وقالت وهى تهز كتفيها :

– ليس تماماً ..

ارتفع حاجبا (ريهام) دهشة وهى تغمغم فى قلق :

- ماذا تعنين ؟

اعتدلت (هالة) فى مقعدها ، ومالت إلى الأمام وهى تقول فى جدية :

- إن التوتر فى علاقتك بـ (أحمد) يقلقنى ، ومن الواضح أنه ينهشكما أيضاً ، فقد نحلتما ، وظل هو مكتئباً منذ انصرافك غاضبة من حجرته بالمستشفى ، ولقد رفض كعادته أن يفصح لى عن مكنون نفسه، وأنا أحاول معرفة ذلك منك .

ظهر الحزن فى عينى (ريهام) وهى تغمغم :

- ليتنى أعلم ما يدور فى أعماقه .

تأملتها (هالة) بعض الوقت ، ثم قالت :

- يدهشنى أن تعجزى عن فهم (أحمد) ، فهو بسيط ، واضح كإناء من الماء الصافى ..

تطلعت إليها (ريهام) فى دهشة ، فقد كانت تتحدث فى هيام كما لو كانت تصف حبيباً لا أخاً ، وهى تستطرد :

- إنه رقيق كالفراشة ، قاس ، عنيد ، كريم ..

صدقينى . إنه إنسان رائع ، قلّ أن تجد فتاة منا رجلا مثله فى هذا الزمن .

همست (ريهام) :

- يبدو أنك تحبينه كثيراً .

ضحكت (هالة) فى مرح وهى تقول :

- لا تنسى أنه شقيقى الوحيد .

دار بينهما حديث ارتجالى بدأته (ريهام) :

- إنه يرفض أن يفهمنى .

- إنه يقول : إنك لا تفهمينه .

- إنه يطلب منى التخلى عن كل شىء من أجله .

- هذا هو الحب .

- الثراء ليس عاراً يخجل منه المرء .

- والفقر كذلك ..

- إننى أكره الفقر والحاجة .

- ولكنك تحبينه .

- أريدهما معاً .. (أحمد) والثراء، هل فى هذا عيب؟

- كلا ، ولكن الوضع الحالى يفرض عليك اختيار أحدهما .

– لماذا يصر القدر على معاندتى دائماً ؟

– القدر برىء من القرارات التى منحنا الله – سبحانه وتعالى – حق الاختيار فيها :

توقف الحديث عند هذه النقطة ، وخيم الصمت بضع ثوان ، فقد كانت (ريهام) تعلم أن عبارة (هالة) الأخيرة صادقة ، ولكنها تعلم فى الوقت نفسه أنها أضعف من أن تتخذ هذا القرار المصيرى الخطير ، وعادت تهمس فى يأس :

– لا يمكنك أن تتصورى صعوبة الاختيار .

مطت (هالة) شفتيها ، وهى تعود لتستند إلى ظهر المقعد ، قائلة :

– هذا هو ما يؤلم (أحمد) ، إنه يرى أن صعوبة الاختيار فى حد ذاتها تهينه ، فهو شديد الاعتداد بنفسه ، حتى أنه يرفض أن يوضع فى كفة ميزان أمام المال مهما بلغ قدره .

عاد الحديث الارتجالى يتدفق ثانية :

– لماذا لا يعاوننى على اتخاذ القرار ؟

– إنه قرارك وحدك .

– المرأة أضعف من أن تتخذ قراراً مصيريًا كهذا .

– هذا ما يوهمنا به الرجال .

– بل هو الحقيقة .

– لو أنه كذلك لأجبرك والدك على رفض (عبدالحميد) منذ البداية .

انقطع الحديث مرة ثانية ، وتفجر القلق والحيرة فى قلب (ريهام) ، شعرت أنها عاجزة عن مناقشة منطق (هالة) ، وأنها هى صاحبة الخطأ الأول منذ قبولها الزواج من (عبد الحميد) ، ولكنها كانت ترفض أن يحطم هذا الخطأ حياتها ، وهى لم تتجاوز الثانية والعشرين بعد ، وترفض فى الوقت نفسه أن تعود إلى حياة الحاجة كذى قبل ...

نهضت من مقعدها دفعة واحدة ، وأخذت تسير فى الصالون وهى تفرك كفيها فى عصبية ، ثم استدارت إلى (هالة) تتأملها فى صمت وحزن ويأس ..

وفجأة برق فى عقلها خاطر عجيب ، أمل أضاء قلبها فجأة، حتى أنها دهشت كيف لم تتبينه وسط خضم

الأحداث المتلاحقة ، منذ لقائهـــا الأول مع (أحمد) ، فهتفت على نحو أدهش (هالة) :

ـ وماذا لو أننى تمكنت من الاحتفاظ بهما معاً ؟

تطلعت إليها (هالة) فى دهشة ، وتمتمت :

ـ ماذا تعنين ؟

تحركت (ريهام) نحوها فى انفعال واضح وهى تقول:

ـ أعنى ماذا يكون رأى (أحمد) لو أننى استطعت الزواج منه ، والاحتفاظ بالثراء معاً ؟

ظلت (هالة) تتطلع إليها لحظة فى دهشة ، ثم قالت وهى تنهض من مقعدها :

ـ لست أدرى ماذا يكون رأيه ، ولكن ..

أمسكت (ريهام) كفى (هالة) وهى تقول فى ضراعة :

ـ دعينى أحاول .. أرجوك .

جذبت (هالة) كفيها فى رقة ، ووقفت تتطلع إلى عينى (ريهـــام) الزرقاوين بعض الوقت ، ثم قالت فى هدوء :

ـ لا أحد يملك منعك من المحـــاولة يا (ريهام) ، ولكن ...

وتحولت لهجتها فجأة إلى الصرامة وهى تستطرد :

ـ إن (أحمـــد) هو شقيقى الوحيـــد ، وأنا أحبه كما لا يمكنك أن تتصـــورى ، ولن أسمح لأحد أن يؤذى مشاعره ، وهو طالب متفوق كما تعلمين ، وهو يحلم منـــذ التحاقه بكلية الآداب بالحصـــول على وظيفة معيـــد وسط هيئة تدريسها ، وهـــذا يستلزم راحـــة نفسية تؤهله للاستذكار والتفوق ، وقصتكما تمنعه من ذلك ، وأنا لن أقبل أن تتحطم أحلام شقيقى الوحيد من أجلك ..

حاولت (ريهام) أن تقاطعهـــا ؛ لتخبرها أنها أيضاً تتمنى كل النجاح والتفوق لـ (أحمد) ، إلا أن (هالة) ظلت تواصل فى صرامة :

ـ وكل ما أطلبه منك هو سرعة حسم هذا الأمر ، فما زلنا فى بداية العـــام الدراسى ، وسيمكنه التغلب على صدمة القرار لو أنه أتى على غير ما يرغب ..

غمغمت (ريهام) فى توسل :

ـ (هالة) .

إلا أن (هالة) تابعت فى قسوة :

ـ اتخذى قرارك بقبول أخى .. أو ابتعدى عنه تماماً .. لا تحطمى كل أحلامه .

انسالت دمعة صامتة من عين (ريهام) ، وهى تقول فى صوت مختنق :

ـ أنا أحطم أحلام (أحمد) ؟ !

حدجتها (هالة) بنظرة قاسية وهى تقول قبل انصرافها :

ـ اتخذى قرارك يا (ريهام) .

ظلت (ريهام) شاردة بعض الوقت بعد انصراف (هالة) ، ثم تحركت نحو الهاتف فى بطء ، كما لو أنها تحمل فوق ظهرها أثقال الدنيا كلها ، ورفعت السماعة ، وأدارت أناملها قرصه ، وانتظرت حتى جاءها صوت محدثها فى الجانب الآخر ، فقالت فى صوت هو أقرب إلى الرجاء :

ـ أستاذ (وجدى صالح) .. أنا (ريهام فتح الله) ، أريد مقابلتك لأمر بالغ الأهمية .. سأحضر إليك فى الصباح ، وكل ما أرجوه أن تحاول معاونتى فيما سأطلبه منك ، فهذا هو أملى الوحيد .

٨ ـ المحاولة ..

نهض الأستاذ (وجدى صالح) المحامى من خلف مكتبه يصافح (ريهام) ، ولم تخف عليه عيناها الذابلتان ، ولا وجهها الشاحب ، وجسمها النحيل ، وأشار إليها فى احترام أن تتخذ المقعد المقابل لمكتبه ، ثم جلس يتظاهر بتنسيق بعض الأوراق فوقه ، قبل أن يشبك أصابع كفيه فوق المكتب ، ويسألها فى فضول لم تخطئه أذناها :

ـ خيراً يا سيدة (ريهام) ، قلت : إنك تريديننى لأمر هام وعاجل .

نقرت (ريهام) بأطراف أصابعها على سطح المكتب وهى تقول :

ـ أردت استشارتك حول وصية زوجى الراحل المرحوم (عبد الحميد) ، وأعنى الجزء الذى يخصنى منها .

اعتدل وهو يسألها فى اهتمام :

ـ ماذا عنها ؟

سألته فى تردد :

ـ هل تراها قانونية ؟

حرك كتفيه وهو يقول فى حذر :

- إلى حد ما .

تطلعت إليه فى دهشة ، وقالت فى لهجة أقرب إلى الحدة :

- ماذا تعنى بقولك إلى (حد ما) ؟.. أهى قانونية أم لا؟

صمت المحامى لحظة ، وكأنه يستعيد ما بذاكرته من قواعد قانونية ، ثم قال :

- وصية المتوفى تحترم دائماً ، ما لم يعترض أحدهم على مضمونها ، وما لم تكن غير شرعية .

كادت تقفز من مقعدها وهى تهتف :

- هل تعنى أنه كان بوسعى الاعتراض على الوصية ؟

أسرع يقول وكأنه يدافع عن نفسه :

- ولكنك لم تطلبى ذلك .

بدت كما لو كانت ستنفجر بالبكاء وهى تقول فى صوت خافت :

- لماذا لم تخبرنى بذلك ؟

لوّح المحامى بذراعيه ، وقال :

- لم تبد عليك الرغبة فى الاعتراض فى حينه، ولما لم يعترض أشقاء المرحوم تصورت أن الوصية توافقكم جميعاً.

صاحت فى غضب :

- ولماذا يعترضون ؟ .. إن وصية شقيقهم الراحل تحرمنى التمتع بنصيبى من ثروته فى حالة زواجى ، وتكتفى بمنحى عائد ثلث ثروته ، ثم إنها تعطيهم الأمل فى أن أتزوج يوماً فتعود إليهم ثروته ، لماذا يعترضون إذن ؟

أجهشت بالبكاء ، على حين اكتسى وجه المحامى بشعور جارف بالذنب ، وأخذ يطرقع أصابعه فى توتر وعصبية ، حتى جففت هى دموعها ، وسألته فى حدة :

- ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟

قلب كفيه فى ارتباك ، وقال :

- القانون يطلب الاعتراض خلال ستين يوماً من الاطلاع على الوصية ..

صاحت فى غضب :

- هل تعنى أن أوان الاعتراض قد فات ؟

صمت لحظة وهو يتأملها فى ارتباك ، ثم خفض عينيه ، قائلا :

- أعتقد أنه يمكننا الاعتراض بأن الضرر لم يتبين للمتضرر إلا فى ...

قاطعته فى حزم :

- هل هناك أمل ؟

صمت لحظة ، ثم أجابها :

- بالطبع .. إنها قضية مضمونة ، لو أننا ...

عادت تقاطعه وقد بعثت كلماته الأمل فى نفسها :

- دعك من الشرح القانونى ، فلن أفهم منه شيئاً ، المهم أن تتولى هذه القضية باسمى ..

ثم صمتت لحظة ، وعادت تسأله فى حذر :

- هل أنت متأكد من حصولى على نصيبى من الثروة بعد رفع القضية ؟

مط شفتيه ، وقال : لقد أنفقت الكثير خلال الشهور الماضية ، وأعتقد أنك لن تحصلى على الفيلا ..

هتفت فى سعادة :

- الفيلا لا تعنينى ، فلتذهب إلى الجحيم ، وسأحصل على غيرها ، بل أجمل منها ..

أسرعت تغادر مكتبه وقلبها يرقص فرحاً ، وانطلقت بسيارتها إلى قصر العينى ... كان الجزء الأول من محاولتها

قد نجح نجاحاً يفوق كل ما كانت تتمناه ، وبقى عليها أن تحاول إنجاح الجزء الثانى ..

طرقت باب حجرة (أحمد) ، ثم دفعته فى عجلة ، واندفعت إلى الداخل ومحياها يتهلل بشراً ، ولكنها توقفت فجأة ، وتخضب وجهها بحمرة الخجل عندما تطلع إليها (أحمد) فى دهشة ، والتفتت إليها شقيقته (هالة) فى تساؤل ، ولم يلبث خجلها أن تحوّل ضيقاً اعتصر قلبها عندما أشاح عنها (أحمد) بوجهه ، ونهضت (هالة) تصافحها وهى تتفرس فى ملامحها بحثاً عن مبرر للبشر البادى فى ملامحها ، ثم تصنعت المرح وهى تقول :

- لقد حضرت فى وقت مناسب ، كنت أفكر فى الانصراف ، وستحلين محلى فى الجلوس مع (أحمد) .

قالت عبارتها وأسرعت تنصرف ؛ كى تفسح لهما المجال للحديث ، ومضت فترة من الصمت و(ريهام) تتطلع إلى (أحمد) ، وهو يشيح بوجهه عنها ، ثم اقتربت منه بخطوات بطيئة ، ومست كتفه بأناملها فى رقة ، وهى تسأله فى همس ، يفوح منه عبير الحب :

- كيف حالك ؟

أجابها باقتضاب :

– بخير حال .

عادت تسأله فى همس حنون :

– هل تستذكر محاضراتك بانتظام ؟

التفت إليها بوجهه ، وتطلع إلى عينيها بعينيه السوداوين العميقتين ، وكأنه يحاول أن يستشف منهما ما يدور فى أعماقها ، وشعرت هى بعينيه تحوطانها ، وتبعثان فى أعماقها الدفء والحنان ...

شعرت أنها تحبه كما لم تفعل من قبل ، وأنها قادرة على تحطيم كل الأسوار من أجله ..

شعرت بقوة بعثها دفء عينيه فى نفسها ، وبحنان دافق يسرى فى عروقها ..

وهمست فى سعادة :

– وجدت حلا لمشكلتنا .

اختفى الدفء والحنان من عينيه فجأة ، وحلّ العناد والصرامة محلهما ، حتى أنها ندمت على التفوه بعبارتها فى ذلك الوقت ، وسرى الحزن إلى قلبها عندما عاد يشيح بوجهه عنها ، قائلا فى سخرية مريرة :

– وهذا الحل يحتفظ بى وبالأموال أيضاً .. أليس كذلك ؟

انطلق النقاش بينهما حينما قالت فى ضيق :

– لماذا تصر على اعتبار المال عاراً ؟

– العار هو أن نضع البشر والمال فى كفة واحدة .

– الحياة تصبح أكثر متعة مع وجود المال .

– ولكنها لا تفقد رونقها بدونه .

– الحب يفقد قيمته مع الفقر .

– الحب الحقيقى لا يفقد قيمته مهما كانت الأسباب .

– هل تعلم ما يمكن أن يفعله نصف مليون جنيه ؟

– بالطبع إنه يعطى المرأة شعوراً بالتفوّق ، حينما لا يملك زوجها مثله ، ويجعلها تظن أنها قد أصبحت صاحبة الكلمة الأولى فى منزل الزوجية .

عند هذه النقطة تفجر الغضب فى أعماق (ريهام) ، فهتفت :

– هل تظن أن الثراء الذى أتمتع به سيدفعنى إلى محاولة فرض آرائى و ...

وبترت عبارتها فجأة ، حينما قفزت إلى ذهنها صورة والدها ووالدتها وأشقائها فى الفيلا ، بعد أن أصبحت هى

صاحبة المال ... تذكرت انطواء والدها وانعزاله ، وعدم رغبته فى حسم الأمور كسابقه ، وملل والدتها وخوفهـا من ثورتها وغضبها ، وعدم طلب المعاونة منها تماماً ، وتذكرت ابتعاد أشقائها عنها ، وخوفهم وحذرهم منها ..

كل هـذا لأنها صاحبة الأموال .. وهـذا يعنى أن منطق (أحمد) سليم .. ، ولكن لن تحاول فرض سيطرتها على (أحمد) ، مهما بلغ ثراؤها ..

لقد أحبت رجولته الدافقة ، وشخصيته القوية ، ومن المستحيل أن تحاربهما لمجرد أنها تملك المال والثراء ..

سألته فى ألم :

ـ لماذا تصرّ على إغلاق كل الأبواب فى وجهى ؟

قال فى عناد :

ـ إننى أفتح أمامك باب الحب الحقيقى ..

قالت فى يأس :

ـ ولكننى أحبك حقاً .

قال فى حدة :

ـ بل كنت تحبين (عبد الحميد) بأكثر مما تحبيننى .

تراجعت فى دهشة وهى تهتف :

ـ أنا كنت أحب (عبد الحميد) ؟ !

قال فى سرعة :

ـ بلا شك ، لقد تخليت عن كل شىء من أجله ، وترفضين التخلى عن أى شىء من أجلى .

عادت تهتف فى دهشة :

ـ أنا تخليت عن كل شىء من أجل (عبد الحميد) ؟!

عاد يشيح بوجهه ، مغمغماً :

ـ هكذا أفضـل أن أرى الصـورة ، فزواجك (عبد الحميـد) حبًّا أفضـل من ارتباطك به مالا ، فى رأيى على الأقل .

شعرت بيد باردة تعتصر قلبها ، عندما تبينت كيف ينظر إليها .. كان يراها كبغى باعت نفسها من أجل المال ..

آلمها رأيه فيهـا ، وحطم الأمل فى أعماقها ، وطعن كرامتها ، وأسال دماءها ..

تراجعت مبتعدة عنه ، وهى تقول :

ـ أنت تكرهنى ولا تحبنى ..

استـدار إليهـا فى دهشـة ، وأطل الحب واضحاً فى عينيـه ، ولكن كرامتهـا الجريحة حجبت عنهـا نظرات الحب ، فواصلت تراجعها وهى تلوح بكفها أمام وجهها ، وتقول فى هستيرية :

- لقد كنت تعبث بى منذ البداية ، إنك لم تحبنى أبداً.

أفزعه ما فعله بها ، وعض الندم أغواره ، وهتف يناديها :

- (ريهام) ..

صرخت فى غضب :

- لا تنطق اسمى مرة أخرى .

اعتصر الحزن قلبه وهو يتطلع إليها فى دهشة ، ولكنها صرخت فى جنون :

- لا أريد أن أراك بعد الآن .. لم أعد أريدك .. لم أعد أهواك .

صاح وهو يرفع كفه إليها :

- كفى يا (ريهام) .

ولكنها استدارت فجأة ، وانطلقت تعدو مغادرة الحجرة والمستشفى بأكمله ، وتركته خلفها يهتف باسمها فى ندم ولوعة ، وتفجرت الدموع من عينيها وهى تقود سيارتها إلى الفيلا ..

دموع اليأس والهوان ..

لم يعد أمامها سوى أن تعترف أن محاولتها قد فشلت ، وأنها هذه المرة قد فقدت (أحمد) إلى الأبد .

* * *

٩ - العودة ..

عاد كل شىء إلى ما كان عليه قبل أن تلتقى (ريهام) بـ (أحمد) ....

عادت حديقة الفيلا تصخب بالحفلات ، التى ضاقت فترات الهدنة بينها ، حتى كادت تتحول إلى واجب يومى ..

ازداد انطواء والدها ، وزاد من مرات خلوته بنفسه فى حجرته ...

تضاعف الحزن فى عينى أمها ، وقلبها ، وبدأت أمراض الوهم تطاردها ...

كثر ابتعاد أشقائها عنها ، وازداد نفورهم من عصبيتها المتزايدة ...

ولكنها كانت تحاول أن تنسى ، وأن تعود إلى ما كانت عليه ، ولكن هيهات ..

لقد حفر (أحمد) حبه فى قلبها ، حتى بات وشماً لا يمحى ..

وشقت آلام التجربة نفسها ، فبدلت منها النفس والروح ..

أصبحت (ريهام) أكثر تمسكاً بالرفاهية والثراء ، وأكثر إحساساً بالوحدة واليتم ..

فقد كل شيء متعته فى أعماقها .. وفقدت أعماقها كل
إحساس بالمتعة والسعادة ..

لم تعد إلى جوار فراشها روايات عاطفية ،
أو أقصوصات غرامية ..

لم تعد تبكى ، وكأن دموعها قد جفت حقًّا ..

كانت تفعل كل ما بوسعها فى محاولة نسيان حبها
الذى وأده القدر قبل أن ينضج ..

ولكنها فى تلك الليلة من ليالى صيف يوليو الحارة
كانت قد بلغت من اليأس مبلغه .. وكانت هناك سيئة
أخرى قد أضيفت إلى حياتها ... أصبحت تدخن السجائر
بشراهة ، وتحد ..

لم يعترض والدها ، واكتفى بتمتمات حانقة كلما وقع
بصره عليها ، وهى تشعل واحدة من سجائرها التى
لا تنطفىء ، ولم تعترض والدتها ، وإنما ظلت تدعو لها
بالهداية من حين لآخر ، وبدأ جمالها يذبل ويذوى مع تلك
الحياة المسرفة التى تحياها .. لم تكن عيناها تنعم بالنوم
إلا لماماً ، ولم يكن جسدها يشعر بالراحة إلا قليلا ..

وفى تلك الليلة بالذات تذكرت (أحمد) ، فانزوت
فى ركن من شرفة الفيلا وحيدة ، تشعل سيجارة تلو
الأخرى ، وتنفث الدخان وهى تتطلع إلى السماء الصافية ..

كانت قد مرت شهور ثمانية منذ ذلك اللقاء المحبط
بينها وبين (أحمد) ، ومنذ ذلك الحين حرصت جيداً على
العمل بنصيحة (هالة) ، فلم تذهب إلى كليتها مطلقاً ،
وانسحبت من حياة (أحمد) كلية ، حتى تفسح له طريق
التفوق الذى يحلم به ...

لم تحاول حتى تعقب أخباره ، خشية أن يعاودها
الحنين ، فتهرع إليه ، وتضيف متاعب أخرى إلى متاعبه ..

ولكن تلك الليلة بالذات كانت تعنى لها الكثير ،
فغداً تعلن نتائج امتحان السنة النهائية بالكلية ، وهذا الخبر
وحده كفيل بأن يحتل (أحمد) أفكارها حتى الأعماق ..

وجدت نفسها تدعو له من أعماق قلبها أن يحصل
على المركز الأول كما كان يتمنى ، وشعرت بخوف
ينتابها خشية فشله فى ذلك ، فقد كانت تعلم أنه لو حدث
ذلك ، فسيقتلها تأنيب الضمير ، وستعد نفسها المسئولة
عن ذلك الفشل ...

تضرعت إلى الله من أعمق أعماقها أن يكون (أحمد)
فى أول قائمة الناجحين ، وعاودها الحنين دافقاً فى تلك
الليلة ، وتمنت لو أنها رأته مرة واحدة ، وسبحت فى
بحر الحنان الذى يطل من عينيه ، وتمنت لو أنها غاصت
فى أعماق دفء شخصيته وعمقها ..

أغلقت عينيها فى نشوة ، وسبحت بخيالها إلى جنة
العشاق ، ذلك المكان الوهمى حيث يلتقى كل الأحبة ،
دون مشاكل أو قيود .. حيث تتدفق أنهار الحب وسط
بستان العشق ، الذى تنبت فيه زهور الهيام ..

رأت نفسها تلتقى بـ (أحمد) هناك ،وهو يبتسم فى حب
وحنان ، ويفتح لها ذراعيه ، ورأت نفسها تلوب فى
أحضانه ، وتنهمر من عينيها دموع لها رائحة الورد ..

رأت (أحمد) ينحنى على وجنتيها ، ويجفف دموعها
بشفتيه ، ثم يتطلع إليها فى وله ، وابتسامته الجذابة تتسع ..
تتسع حتى تشمل وجهه كله ، وتبتلع أحزانها كلها ..

تمنت فى تلك اللحظة لو أن الله — سبحانه وتعالى —
قد وهب الإنسان القدرة على تحويل أحلامه إلى حقائق ،
ليصنع عالمه الخاص ، الخالى من المتاعب والمشاكل ...

خيل إليها — وقتئذ — أنه هكذا ستكون الجنة ..
عالم يحقق فيه كل إنسان أحلامه ، عالم لا مكان فيه للمال
وكل ما يجلبه من مشكلات ، عالم تكون العملة الوحيدة
فيه هى الحب ...

هبطت بخيالها فجأة إلى عالم الواقع ، حينما سمعت
صوت شقيقها الأصغر يقول :

— الأستاذ (وجدى) المحامى يطلبك هاتفيًّا .

ألقت سيجارتها وسط أعشاب الحديقة ، وأسرعت
إلى الهاتف ، وقد انتابتها دهشة عجيبة ، فلقد تذكرت
— حينئذ — فقط القضية التى طلبت من الأستاذ (وجدى)
إقامتها منذ ثمانية شهور ، وكانت قد نسيت كل شىء عنها
بعد لقائها المؤسف الأخير مع (أحمد) ..

وضعت سماعة الهاتف على أذنها ، وقالت فى لهفة :

— خيراً يا أستاذ (وجدى) .

أجابها المحامى :

— خيراً بإذن الله .. لقد أقام أشقاء زوجك دعوى أخرى
مضادة يطلبون فيها رفض الدعوى المرفوعة منا بالاعتراض على
تنفيذ الوصية ، وهم يعتمدون على عدم اعتراضنا فى الموعد القانونى .

سألته فى عصبية :

- وكيف عرفوا بقضيتنا ؟ وماذا يضيرهم فى حصولى على نصيبى ؟

أجابها فى تردد :

- كان لا بد من إعلامهم ، هكذا ينص القانون ، ما داموا من الأطراف المعنية .

صاحت فى غضب :

- وتقول لى هذا بعد ثمانية شهور !!

أجابها فى ضيق واضح :

- هذه القضايا تستغرق عدة سنوات فى بعض الأحيان.

هتفت فى ضيق :

- عدة سنوات ؟ !

تملكها شعور جارف باليأس ، وتحوّلت لهجتها من الغضب إلى الرجاء وهى تقول :

- هل هناك ما يمكننا فعله ؟

أجابها فى هدوء :

- إننى أحاول ما بوسعى ، ولكننى أردت أن تتابعى تطور الأحداث .

صمتت لحظة أقلقته ، ثم غمغمت فى هدوء :

- شكراً يا أستاذ (وجدى) ، وأرجو أن تحاول جهدك كله من أجلى .

وعدها المحامى أن يفعل ، وأنهت هى الاتصال ، وظلت صامتة ثابتة كالتمثال بعض الوقت ، حتى سمعت والدتها إلى جوارها تقول فى لهجة تنم عن قلق بالغ :

- لقد حضر أشقاء زوجك الراحل يا بنتى ، وهم يطلبون مقابلتك .

زفرت فى ضيق وهى تقول :

- دعى والدى يقابلهم .. إننى أكره رؤيتهم ..

ترددت أمها لحظة ، ثم قالت :

- أنت تعرفين والدك يا بنتى .. إنه يرفض التدخل فى شئونك الخاصة .

قالت فى ضجر :

- حسناً .. سأقابلهم .

كان اللقاء بارداً كالعادة ، وتصافح الجميع فى تحد واضح ، ثم جلست (ريهام) ، وبدأت حديثها على الفور قائلة :

– أى رياح شريرة ألقت بكم إلى هنا .

تطلعت إليها (فوزية) فى سخرية ، على حين تجهم وجه (فتحى) ، وصاح (فاضل) فى غضب :

– أهكذا تستقبلين أشقاء زوجك الراحل ؟

تراجعت بظهرها إلى الوراء ، وانتزعت من علبة سجائرها سيجارة ، أشعلتها فى تحد ، ونفثت دخانها فى وجوههم وهى تقول :

– لماذا تغضب هكذا يا سيد (فاضل) ؟ .. هل تحاول إيهامى أنكم قد حضرتم فى أمر خير ؟ .. أراهن أنكم ما حضرتم إلا لشر .

لم يخف عليها تطلع (فوزية) الهازئ إلى السيجارة التى تحترق بين شفتيها ، ولا النظرات الغاضبة التى تبادلها (فاضل) و (فتحى) قبل أن يقول هذا الأخير ، وهو يعض شفتيه غضباً :

– إننا لم نأت فى خير أو شر .. لقد أتينا نعرض عليك اتفاقاً يحقق الراحة للجميع .

قالت فى سخرية :

– اتفاق مادى بالطبع ..

لم تستطع (فوزية) كتمان غيظها أكثر من ذلك ، فاندفعت تقول فى تهوُّر :

– وماذا يمكن أن يربط بيننا فى تصورك سوى الأمور المادية ؟

اعتدلت (ريهام) وهى تقول فى عصبية :

– هيا .. ابرزى سمومك أيتها الحية ، لقد أقلقنى صمتك حتى الآن .

صرخت (فوزية) وهى تنهض فى غضب :

– أتلقبيننى بالحية أيتها المنحرفة ، التى تقيم الحفلات الماجنة ، وتدخن السجائر أمام الجميع .

احتقن وجه (ريهام) غضباً وهى تصرخ :

– صه أيتها الحقيرة .. إننى أشرف من عائلتك كلها .

أسرع (فاضل) و (فتحى) يتدخلان ، قبل أن يتحول الأمر إلى مشاجرة ، وتشابك بالأيدى ، ولم يلبث الموقف أن عاد إلى هدوئه ، بسبب فضول (ريهام) لمعرفة سبب قدومهم ، ورغبة (فوزية) فى إنهاء الموقف ، وعرض الصفقة التى جاءوا من أجلها ، وبدأ (فاضل) عرض الأمر بقوله :

ـ بلغنا أنك قد أقمت دعوى رفض وصية شقيقنا الراحل ـ رحمه الله ـ وأنك ترغبين فى الحصول على نصيبك من الثروة ، بدلا من الاكتفاء بربع الثلث .

قالت (ريهام) فى تحد :

ـ هذا حق .

تدخل (فتحى) قائلا :

ـ ولكنك لم تتقدمى بالاعتراض فى الموعد القانونى ، وهذا يضعف موقفك فى القضية ، ثم إنك قد أنفقت الكثير حتى باتت نتائج هذه القضية فى غير صالحك .

أشاحت (ريهام) بوجهها ، وقالت :

ـ سأتحمل النتائج .

قال (فاضل) :

ـ ربما يستغرق هذا سنوات .

قالت فى تحد :

ـ سأنتظر .

تبادل الأشقاء الثلاثة النظرات ، ثم قال (فتحى) :

ـ ولكننا نحمل حلا أفضل .

سألته (ريهام) فى سخرية :

ـ أفضل لمن ؟

سيطر (فاضل) على أعصابه ، وحافظ على هدوئه وهو يقول :

ـ شقيقى (فتحى) يقصد أن الحل أفضل للجميع .

غلبها الفضول أخيراً ، فقالت فى استسلام :

ـ هات ما لديك .

تنفس الجميع الصعداء ، وقال (فاضل) :

ـ إننا نعرض عليك نصف مليون جنيه دفعة واحدة ، ونقداً ، مقابل التنازل عن كل نصيبك من الثروة والفيلا .

تطلعت إليه فى دهشة ، ثم أطلقت ضحكة ساخرة عالية ، وهى تقول :

ـ يبدو أننى قد أسأت السمع ، أو أنك لم تحسن عرض صفقتك .

ثم اعتدلت فى جلستها ، وأطفأت سيجارتها وهى تستطرد :

ـ لماذا بربكم أتخلى عن مليون جنيه ، وفيلا رائعة كهذه ، مقابل نصف مليون جنيه فقط ؟

أسرع (فتحى) يقول فى حنق :

– نصف مليون خالية من الشروط خير من مليون تقام حولها الأسوار .

احتقن وجهها بعد أن فهمت مغزى عبارته ، على حين قالت (فوزية) فى لهجة أقرب إلى السخرية والشماتة :

– سيمكنك على الأقل أن تتزوجى حبيب القلب دون خوف .

تفجر غضب مكبوت فى أعماق (ريهام) ، وشعرت أن (فوزية) تنكأ جرحها عن عمد ، مما ملأ نفسها برغبة قوية فى إيذاء هذه العانس ، فسألتها فجأة :

– لماذا تسعين خلف الثراء يا (فوزية) ؟

تطلعت إليها (فوزية) فى دهشة ، وغمغمت فى تحفز :

– ماذا تعنين ؟

تضاعفت رغبة (ريهام) فى إيذاء (فوزية) ، فاندفعت تقول :

– أعنى أنك لم تتزوجى بعد ، برغم سنوات عمرك التى شارفت منتصف الأربعين ، وليس لك أطفال ، ولقد ترك لك شقيقك – رحمه الله – نصف مليون جنيه كاملة ، وأنت شحيحة كأفراد عائلتك كلهم ، وهذا

يعنى أن نصف المليون يمكنه أن يكفيك طيلة العمر ، فلماذا تبحثين عن المزيد ؟

كان وجه (فوزية) يزداد شحوباً كلما أمعنت (ريهام) فى حديثها ، وملك الغضب حواسها حتى أنها عجزت عن النطق لحظات ، قبل أن تهتف فى غضب جنونى :

– ستدفعين ثمن هذه الإهانة .

ثم نهضت فى غضب ، وأسرعت تغادر الفيلا يتبعها أخواها ، وظلت (ريهام) ساكنة صامتة لحظة ، ثم هزت كتفيها فى لا مبالاة ، وأشعلت سيجارة جديدة ، وقبل أن تنفث دخانها انطلق رنين الهاتف ، فالتقطت سماعته ، ووضعته على أذنيها وهى تقول فى تراخ :

– من المتحدث ؟

ولكن صوت المتحدثة لم يلبث أن أطار خمولها ، وبعث فى قلبها دفقاً من الحنان واللهفة ، فوجدت نفسها تهتف فى فرح :

– كيف حالك يا (هالة) ؟ .. لقد اشتقت لصوتك طويلا .

لم ترد (هالة) تحيتها ، وإنما بادرتها قائلة :

– لقد نجح (أحمد) وحصل على المركز الأول كما كان يتمنى .

خفق قلب (ريهام) فى فرح ، وارتجفت سماعة الهاتف بين أصابعها ، وتهدّج صوتها وهى تسأل :

– كيف عرف ؟ .. أعنى كيف علمتم ذلك ؟ .. إن النتيجة ستعلن غداً .

قالت (هالة) فى اقتضاب :

– لقد أخبره رئيس القسم بنفسه ، وهنأه على تفوقه .

بكت (ريهام) لأول مرة منذ ثمانية شهور ، ولكن دموعها هذه المرة كانت مفعمة بالسعادة ، وازداد صوتها تهدّجاً وهى تقول :

– وكيف حاله ؟

أجابتها (هالة) فى هدوء :

– هذا ما أتحدث إليك بشأنه ، إننى أرغب فى رؤيتك غداً ، سأحضر لزيارتك فى الصباح لأمر يتعلق بك و(أحمد) ، أمر حان الوقت لمناقشته على الوجه الصحيح .

* * *

١٠ – اللقاء ..

لأول مرة كان للسهر طعم آخر فى عينى (ريهام) ، كان له مذاق الأمل بعد حديث (هالة) ، فلقد قلبت (ريهام) الأمر على كل الوجوه منذ آوت إلى فراشها ، وانتهت إلى أنه لا معنى لحديث (هالة) ، إلا أن (أحمد) قد قرر العودة إليها مرة أخرى ، وبعث هذا الاستنتاج فى نفسها سعادة لا توصف ..

نهضت تبحث عن واحدة من رواياتها العاطفية فى لهفة ، وكأنها تريد التزوّد بجرعة من العاطفة قبل أن تلتقى بـ (هالة)، وشعرت بفرح عجيب حينما عثرت على رواية قديمة فى أحد أدراج دولابها ، واحتضنتها فى حب وهى تعود إلى فراشها ، ومدت يدها تتناول علبة سجائرها ، ولكن يدها توقفت فى منتصف الطريق ..

تساءلت عن رأى (أحمد) فى المرأة المدخنة ، وابتسمت فى حنان وهى تتصوره يطلب منها فى صرامة الامتناع عن التدخين ، وتصورت نفسها ترتجف أمامه بكل ضعف الأنثى ، وتلقى علبة سجائرها فى خوف ..

كانت تعشق رجولته ، وعناده ، وحزمه ..

كانت تشعر بأنوثتها أمام عينيه الصارمتين ، ورجولته الدافقة ..

عاودها الحنين قويًّا ، وجمح بها الخيال ، وخفق قلبها فى حب ، فتناولت علبة سجائرها ، ونهضت إلى شرفتها ، وفتحتها .. وظلت تتمتع بالنسيم العليل لحظات ، ثم ابتسمت وهى تهمس فى حب ، وكأنها تتحدث إلى (أحمد) :

– سامحنى يا حبيبى .. لن تمس شفتى سيجارة واحدة بعد الآن ..

وطوّحت علبة السجائر بكل ما تملك من قوة إلى نهاية الحديقة ...

شعرت بارتياح وهى تعود إلى فراشها ، وعادت تتناول الرواية العاطفية ، وتلتهم سطورها فى شغف ..

عادت تحتل مكان البطلة .. وعاد (أحمد) بطل الرواية ، وسبحت حتى الصباح فى جنة العشاق ..

بدت شديدة المرح وهى تهبط إلى ردهة الفيلا فى الصباح ..

توردت وجنتاها كما لو أن الدماء قد تدفقت فى شرايينها ثانية ..

وعادت عيناها تتألقان فى حيوية ..

ورقص قلب أمها طرباً ، وهى تستقبلها بين ذراعيها لأول مرة منذ ثمانية شهور ، ورفعت ذراعيها إلى السماء تشكر الله – سبحانه وتعالى – على تلبيته أدعيتها المتوالية ، وتطلع إليها والدها فى دهشة ، ثم قام يصلى ركعتين إضافيتين قبل أن يتوجه إلى عمله ، وتجرأ أشقاؤها على معابثتها لأول مرة فى أثناء تناول طعام الإفطار ، الذى قاطعته طوال الأشهر الثمانية الماضية ..

الوحيدون الذين ازدادوا عناء هذا الصباح هم الخدم ، فقد بدت (ريهام) شديدة الحرص على نظافة وأناقة كل ركن من الفيلا قبل أن تصل (هالة) ، وفى تمام الحادية عشرةَ صباحاً وصلت (هالة) ..

استقبلتها (ريهام) فى لهفة ، وأشبعت وجنتيها تقبيلا ، قبل أن تصحبها إلى حجرة الصالون ، ولم يكد يستقر بهما المقام حتى هتفت (ريهام) :

— كيف حال (أحمد) ؟.. لا ريب أنه يكاد يطير فرحاً .

تطلعت إليها (هالة) فى صمت أثار قلقها ، ثم قالت وهى تمط شفتيها :

— هذا ما كنا نتصوره جميعاً ، ولكنه استقبل خبر نجاحه فى لا مبالاة أثارت دهشتنا وقلقنا .

تلاشى مرح (ريهام) دفعة واحدة ، وعاد القلق ينهشها بأنيابه ، وهى تسأل فى صوت أقرب إلى الهمس :

— لماذا ؟

تنهدت (هالة) قبل أن تقول :

— أنت إجابة هذا السؤال يا (ريهام) .

كانت (ريهام) تتوقع هذا الرد ، وتخشاه .. إلا أنها غمغمت فى ضعف :

— أنا ؟ !

قالت (هالة) وكأنها تحدث نفسها :

— كان من الواضح أن (أحمد) يبذل مجهوداً إضافياً خارقاً ، طوال الأشهر الثمانية الماضية ، حتى يمكنه الحفاظ على تفوقه ، والوصول إلى ما يتمناه ، ولقد حاولنا

جميعاً ، أنا ، وأبى ، وأمى ، أن نهيئ له المناخ المناسب للاستذكار ، إلا أننا كنا نشعر دائماً بما يعانيه ، وأنه ما زال هناك شىء هام ينقصه .

رددت (ريهام) فى شرود :

— شىء ينقصه ؟ !

رفعت (هالة) عينيها إليها ، وقالت :

— أنت يا (ريهام) .. إن (أحمد) ما زال يعانى حبك .

عادت (ريهام) تردد :

— حبى ؟ ! .. أنا ؟ !

قالت (هالة) :

— نعم يا (ريهام) .. إن (أحمد) غارق حتى أذنيه فى حبك .. لم يعد يرغب فى سواك .. تضاءلت أمام ذلك كل أحلامه وأمانيه ؛ لهذا لم يشعر بالفرح حينما علم بحصوله على المركز الأول كما كان يتمنى طيلة عمره .

أطرقت (ريهام) وهى تغمغم :

— وماذا يمكننى أن أفعل ؟

ترددت (هالة) لحظة ، قبل أن تبوح بما لديها ، قائلة :

— (أحمد) سيتزوج يا (ريهام) .

رفعت (ريهام) رأسها إلى (هالة) فى حدة ، وتحجرت الدموع فى عينيها وهى تتأمل ملامح هذه الأخيرة ... تمنت لحظة أن تكون كاذبة .. أو تكون أذناها قد استقبلتا الكلمة بمعنى آخر ، وهتفت فى جزع لم تحاول إخفاءه :

– يتزوج ؟ !

جاء دور (هالة) لتطرق برأسها وهى تقول فى حزن :

– نعم يا (ريهام) .. إنه يريد الزواج من ابنة عم لنا ، وأنا واثقة أنه لا يحبها ، بل ولم يفكر يوماً فى الزواج منها ، ولكنه يحاول الهروب من ذكراك .

شعرت (ريهام) بغصة فى حلقها منعتها من النطق ، وجاهدت كى تمنع دموعها من الانهمار على خديها ، ومضت فترة طويلة قبل أن تترك لدموعها العنان ، وتقول فى صوت متحشرج :

– ولم أتيت تخبريننى ذلك ؟ .. هل استبدت بك الرغبة فى الشماتة ؟

هتفت (هالة) فى جزع :

– الشماتة ؟ ! .. يعلم الله أن هذا آخر مايدور بخلدى ..

ثم نهضت تقترب من (ريهام) مستطردة :

– لقد طلبت منك الابتعاد عن (أحمد) منذ ثمانية شهور ، خوفاً على مستقبله ، وحرصاً على تفوقه ؛ ولأننى كنت أعلم أنه يفكر – حينذاك – بأسلوب صحيح .. أما الآن فأنا أرى أنه يحطم نفسه ، ويسىء إلى ابنة عمى ، حينما يقرر الزواج بها ، دون أن يخرج من دائرة حبك .

شعرت (ريهام) بحاجتها الشديدة إلى إشعال سيجارة ، كى تنفث حزنها وغضبها مع دخانها ، وأورثها عدم وجود سجائرها مزيداً من التوتر ، فصاحت :

– وماذا تريدين منى أن أفعل ؟ هل أذهب إليه ، وأركع تحت قدميه ، وأطلب منه أن يتزوجنى أنا ؟

قالت (هالة) فى ارتباك :

– ربما لو تقابلتما ..

صرخت (ريهام) تقاطعها :

– كلا يا (هالة) .. لن أسعى خلف رجل يطلب غيرى للزواج .

قالت (هالة) فى ألم :

– لن يلومك أحد ما لم تفعلى ، ولكننى أظن الندم سيقتل كليكما لو أنكما افترقتما على هذا النحو..

ارتعد جسد (ريهام) من شدة البكاء وهى تقول :

– ولماذا لا يقدم هو على لقائى ؟ .. لماذا يتجنبنى كما لو كنت عاراً ؟

هزت (هالة) رأسها فى إشفاق ، وقالت :

– (أحمد) عنيد للغاية يا (ريهام) .. وحياته لا تدور كلها فى فلك عواطفه ، وإلا لفشل فى تحقيق هذا النجاح والتفوق ، وسط ما كان يمر به من ألم عاطفى .. إنه يؤمن تماماً أن الحياة مزيج من العقل والقلب، ويعتقد أن الإنسان الأحمق فقط هو من يطلق العنان لقلبه ، ويسمح له بالسيطرة على عقله .. وهو يهواك من كل قلبه ، بل إننى أقول فى ثقة : إنه لم يحب غيرك طيلة حياته،ولكن عقله يرفض الزواج من فتاة تملك التفوّق المادى عليه ، ربما لأن هذا سيورثه شعوراً بالعجز ، وهو يكره مثل هذا الإحساس .

أجهشت (ريهام) بالبكاء وهى تهمس :

– إننى أحبه يا (هالة) .. أحبه بكل حواسى ومشاعرى .

ربتت (هالة) على كتفها وهى تقول :

– إنه يحتاج إلى دليل يؤكد له ذلك يا (ريهام) .

شعرت (ريهام) مرة أخرى بعجزها عن الاختيار ، واعترفت لنفسها أنها أضعف من أن تتخلى عن كل هذا الثراء من أجل من تحب ، ودفعها هذا إلى تساؤل جديد .. هل تحب (أحمد) حقًّا ؟ .. هل يمكنها أن تترك كل شىء من أجله ؟ ..

رفعت عينيها إلى (هالة) ، وجففت دموعها وهى تقول فى استسلام :

– أين أجد (أحمد) الآن ؟

تهللت أسارير (هالة) وهى تقول فى فرح :

– فى المنزل .. وسيسعده أن تذهبى لتهنئته .

لم تتردد (ريهام) طويلا .. هكذا قالت لنفسها وهى تقود سيارتها إلى منزل (أحمد) ، وإلى جوارها (هالة) .. لم تتبادلا كلمة واحدة طوال الطريق ، سوى

الإرشادات التى كانت تدلى بها إليها (هالة) ، لتقودها إلى منزل عائلتها ..

وحينما توقفت السيارة شعرت (ريهام) باضطراب يسرى فى جسدها ، وبدأت تتهم نفسها بالحماقة على موافقتها على مقابلة (أحمد) فى منزله ، ووسط عائلته ، وازداد ترددها وتوترها وهى تصعد فى سلم المنزل إلى شقته ، حتى وصلت إلى ذروة الانفعال ، وبلغت ضربات قلبها الحد الأقصى ، عندما دست (هالة) مفتاحها فى ثقب الباب ، ودفعته لتقفز داخل الشقة ، وتنادى شقيقها فى لهفة ..

تلفتت (ريهام) حولها تتفحص المنزل وأثاثه البسيط ، وأعاد إليها ذلك النسق الحنين إلى منزل عائلتها القديم ، وشعرت لأول مرة منذ سنوات بدفء العائلة ، ولذة الارتباط ..

جف لعابها ، وارتعدت أطرافها حينما برز (أحمد) من حجرة جانبية باسم الثغر ، تلوح فى ابتسامته حلاوة النصر ، وعذاب الحرمان ، ولم تكد عيناه تلتقطان وجهها حتى اختفت ابتسامته ، وارتسم مزيج من الدهشة والمفاجأة

فى عينيه ، على حين أسرعت (هالة) تحتضنه وهى تقول فى مرح وسعادة :

ـ لقد أصرت (ريهام) على تهنئتك بنفسها حينما بلغها خبر نجاحك وتفوقك يا (أحمد) .

لم يبد على (أحمد) أنه قد سمع كلمة واحدة مما نطقت به شقيقته ، بل تعلقت عيناه العميقتان بعينى (ريهام) الواسعتين ، وكذلك فعلت هى ..

كان كلاهما يرتعد فى أعماقه ، وإن لم يبد هذا فى مظهرهما ...

كان قلب (أحمد) يذوب حبًّا ولهفة ...

وقلب (ريهام) يرقص فى فرح للقاء ...

والتقت نظراتهما طويلا فى صمت ..

ولكنه كان صمتاً يحمل ما هو أبلغ من كل أبيات الشعر ، التى وضعت فى الحب والعشق والهيام ..

كان فم كل منهما مغلقاً ، ولساناهما لا ينطقان ..

ولكن عيونهما قالت ما يعجز عنه اللسان ..

قالت عيناه : أحبك ، ولكن ...

وقالت عيناها : اغفر لى ضعفى ..

وفى هدوء تحرك هو نحوها . وازداد ارتجاف جسدها مع كل خطوة يخطوها قرباً منها ، إلى أن أصبح يقف أمامها تماماً .. والتقت عيناهما فى عتاب طويل ..

مدّ هو كفه يصافح كفها الرقيقة، وتركت كفها تستكين فى راحته مرتعدة دافئة ، واحتفظ هو به طويلا ، ثم مال نحوها حتى خيل إليها أنه سيقبلها أمام شقيقته ، واحمر وجهها خجلا لمجرد تصور ذلك ، إلا أنه اعتدل فجأة ، وترك كفها تسقط من راحته ، وهو يقول فى برود حطم آمالها :

ـ شكراً على تهنئتك يا سيدة (ريهام) .. أعتقد أن هذا لا يسىء إلى ثروتك .. أليس كذلك ؟

* * *



١١ ـ المواجهة ..

سيطر الحزن والندم على مشاعر (ريهام)، وهى تقود سيارتها فى طريق العودة إلى الڤيلا ، وعضت شفتيها فى ألم وهى تسترجع مشاهد لقائها مع (أحمد) ..

كان من الواضح أن هذا اللقاء قد بعث فى نفسه حنيناً دافقاً لها ...

وأن حبه لها لم يخبُ لحظة واحدة طوال الأشهر الماضية ..

ولكن عناده كان يأبى عليه الاستسلام لمنطقها ..

ما زال يرفض أن يسمح لها بالجمع بينه وبين الثروة التى ورثتها عن زوجها الراحل ..

ما زال يرفض الزواج من امرأة تفوقه ثراءً ...

وهى مازالت ترفض التخلى عن ثروتها من أجله ...

عادت تتذكر كيف استقبلها فى برود ، كما لو كانت مجرد ضيفة عادية أقبلت لتهنئته ..

كيف تحدث إليها طوال ساعة كاملة فى هدوء ،

دون أن يذكر كلمة واحدة تشير إلى حبهما ، أو إلى زواجه المرتقب من ابنة عمه ..

لقد شعرت من استقبال أمه لها أنها تعلم بحبهما ، وتباركه ، وتتمناه ..

وأحست أن والده يرى فيها خير زوجة لابنه الوحيد.. ولكنه هو يرفضها إلا بشروطه .. وهى ترفض قبول هذه الشروط ..

تمنت لو أنهما بطلا قصة سينمائية .. حيث يعيشان الحب بكل ما فيه من حنان ودفء ، على حين يرفض أهلهما زواجهما ..

كانت مشكلتهما على العكس من ذلك ، فهو يحبها ، وهى تحبه ، ولكن ثراءها يصنع حاجزاً صلباً بينهما ..

حاجزاً لا يمكنها التخلى عنه .. ولا يمكنه قبوله معها ..

مرة أخرى تعود إلى حتمية الاختيار .. الاختيار الذى تخافه وتخشاه .

أوقفت سيارتها داخل حديقة الفيلا ، وصعدت فى سلالمها فى تراخ وإحباط واضحين ، ورفضت تناول طعام الغداء ، وصعدت إلى حجرة نومها ، وأغلقت بابها

خلفها فى إحكام ، وكأنها ترفض أو تخشى أن يقتحم أحدهم خلوتها ..

لم تكن تشعر فى هذه اللحظة بالحزن أو السعادة .. بالقهر أو الأمل .. كانت مشاعرها قد تبلدت تماماً حينما وصلت إلى هذا الطريق المسدود ، ولأول مرة منذ بدأت علاقتها مع (أحمد) أخذت تفكر فى الأمر دون توتر أو انفعال .. بنفس مشاعرها المتبلدة ..

سألت نفسها ماذا أعطاها الثراء ؟ .. وماذا أخذ منها ؟ ماذا أضافه إلى حياتها ؟.. وماذا حرمها إيّاه ؟ ..

لأول مرة منذ زمن طويل ، وفى حالة نادرة من حالات مواجهة الإنسان لنفسه فى صدق، أخذت (ريهام) تعيد تقييم كل ما مرّ بها منذ تزوجت (عبد الحميد) ..

وفى شجاعة قلما يحظى بها الإنسان فى أعماقه قررت (ريهام) أن تواجه نفسها ، وتملكها شعور جارف أن مستقبلها كله يعتمد على نتائج هذه المواجهة ..

وفى نفس هذه اللحظة كان (أحمد) يجلس صامتاً فى حجرته ، وقد تملكه شعور قوى بالندم ، وودّ لو أنه

استطاع أن يذهب إلى (ريهام) ، ويركع تحت قدميها ، طالباً منها الصفح عما بدر منه معها فى منزله ..

ولكن كبرياءه وعناده سرعان ما تدخلا ، ليمحوا هذا الشعور من نفسه ، فرفع رأسه إلى شقيقته (هالة) ، التى تجلس ساهمة أمامه ، وقال فى صوت خافت :

– من المستحيل أن نلتقى أنا وهى .. أليس كذلك ؟

رفعت إليه (هالة) عينين خاليتين من أى تعبير ، ولم تمنحه أية إجابة عن سؤاله ، فعاد يغمغم فى لهجة حاول أن يقنع بها نفسه :

– لا ينبغى للرجل الذى يرغب فى النجاح أن يطلق العنان لعواطفه و ...

قاطعته (هالة) فى لهجة حادة :

– كفى يا (أحمد) ..

تطلع إليها فى دهشة ، وغمغم :

– (هالة) ؟ !

صاحت فى غضب :

– قلت لك كفى ..

كانت المرة الأولى فى عمرها ، التى تثور فيها عليه أخته الصغرى ، مما ضاعف دهشته وهو يهتف :

– ماذا أصابك ؟

لوّحت بذراعها فى غضب وهى تقول :

– لقد أصابنى الضيق مما تفعله بهذه المسكينة .

تمتم فى ذهول :

– المسكينة ؟ !

صاحت فى تحد :

– نعم (المسكينة) .. إنها تحبك إلى حد يكفى لإذابة قلب من صخر ، وأنت تحطمها ، وتبعث فى قلبها اليأس كلما التقيتما .

لم يستطع (أحمد) أن يواجه ثورة شقيقته لشدة دهشته ، على حين تابعت وهى تنهض وتتحرك بعصبية فى أرجاء حجرته :

– لقد حاولت المسكينة الكثير حتى تحظى بلفتة حب واحدة منك .. زارتك فى المستشفى ، فواجهتها ببرود وعناد ، ثم تحاملت على نفسها ، وتنازلت عن كبريائها وجاءت تهنئك فى منزلك ، فتعاملت معها بأسلوب يتنافى حتى وكرم الضيافة ، وتركتها تغادر المنزل كسيرة القلب ، محطمة الفؤاد ..

قال فى صوت واهن ، وكأنه يحاول الدفاع عما فعل:

– ولكنها تضع المال فى المركز الأول من حياتها و...

قاطعته فى حنق:

– أنت أيضاً تفعل ذلك دون أن تدرى .

صاح فى غضب ، وكأنه يطلب منها بتر حديثها ، إلا أنها واصلت فى عناد :

– إنك تطلب منها التخلى عن كل ما لديها من أموال دون أن تقدم لها المقابل ، والمقابل الذى أعنيه ليس مالا وذهباً .. إنه مجرد دفء الحب وحنانه ..

اتخذ الحديث فجأة درباً ارتجالياً ، حينما قال فى غضب وعناد :

– لا بد لها أن تتخلى عن هذا الثراء لو أنها تريدنى .

– ولماذا لا تتخلى أنت عن عنادك وتقبلها كما هى ؟

– الرجل يفقد رجولته أمام المرأة الثرية .

– هذا ما تتصوره أنت .

– من يملك المال يملك السيطرة .. هذا مبدأ تاريخى معروف .

– إنك لا تفهم شيئاً عن أعماق المرأة .. المرأة

لا تطيع الرجل وتستكين له لمجرد أنه يملك المال ، وإلا لكان من الطبيعى أن تتركه إلى من هو أكثر منه ثراء كما لو كانت سلعة تباع وتشترى .. المرأة تطيع الرجل لأنه رجل .. ولأن رجولته تجبرها على طاعته .. الجارية فقط هى التى تطيع صاحب المال ؛ لأنه قد دفع ثمنها من ماله .. أما العلاقة بين زوجين يحب كل منهما الآخر فأمر مختلف ، إنها علاقة يحكمها الحب .

صمت (أحمد) لحظة عند هذه النقطة ، ثم عاد يقول فى عناد :

– كل امرأة تملك ثراء يفوق زوجها تسعى إلى السيطرة عليه .

هتفت فى حنق :

– إلا المرأة التى تحب .. إنها تشعر حينئذ بقوة طاغية تجبرها على طاعة زوجها .. حتى لو كان لا يملك شروى نقير ، وحتى لو كان عاجزاً مريضاً ، إنه لا يفقد رجولته أبداً فى نظرها ، ما دام يواصل منحها الحنان والحب .

ظهرت الحيرة فى ملامحه ، وتمتم فى تخاذل :

- (ريهام) مصابة بعقدة المال .
صاحت فى وجهه :
- أنت أيضاً مصاب بالعقدة نفسها .
هتف فى دهشة :
- أنا ؟ !
صاحت :
- نعم يا (أحمد) .. إن (ريهام) مصابة بعقدة المال حقاً ؛ لأنها ترى فيه الأمان والوقاية من الحاجة ، وأنت مصاب بعقدة المال أيضاً ؛ لأنك تراه رمزاً للسيطرة والقوة .. كلا كما يرى القوة فى المال ، ولكنك تطلب منها هى أن تحطم عقدتها ، على الرغم من كونها أنثى ضعيفة ، وترفض أنت تحطيم عقدتك ، برغم كونك رجلا قوياً عنيداً .. أخبرنى بالله عليك ، أيكما أكثر ضعفاً واستسلاماً لعقدة المال ؟

كانت (هالة) تهاجم أعماق شقيقها فى قسوة وشراسة ، كجراح ماهر يستأصل مرضاً خبيثاً من جسد مريضه ، دون تردد أو خوف ، ولكنه حاول أن يجمع ما تبقى من عناده وهو يقول :

- إن طبيعتنا الشرقية ...
قاطعته فى غضب :
- كفى تعليقاً لأخطائنا وعقدنا على شماعة طبيعتنا الشرقية ، إن الطبيعة الشرقية الحقة تدعو إلى القوة والشهامة والكرم ، لا إلى الخوف والعناد والجمود .. ثم هل تظن أن ما فعلته مع (ريهام) فى منزلنا يتناسب والطبيعة الشرقية التى تتخفى خلفها ؟ والتى تدعو لكرم الضيافة ، واتقاء الله - سبحانه وتعالى - فى معاملة النساء الضعيفات ؟

فجرت كلماتها الندم فى أعماقه ، وغمغم فى صوت واهن مستسلم :
- من يدريك أنها لن تحاول السيطرة بعد الزواج ؟
هزت (هالة) رأسها فى قوة وحنق ، وقالت :
- إنك تحاكمها ، وتصدر عليها الحكم بالإعدام فى جريمة لم ترتكبها بعد .. حتى أقسى القوانين الجائرة فى أكثر البلاد الديكتاتورية لا تفعل ذلك .
أطرق برأسه وهو يتمتم :
- هناك جريمة تسمى الشروع فى القتل .
قالت فى حدة :

– نعم ، ولكنها توجه لمن يضبط متلبساً بمحاولة القتل فقط .

انتهى النقاش فجأة كما احتدم ، وخيم على الغـــرفة جوّ من الصمت الثقيل ..

شعرت (هالة) بالندم على ثورتها لأول مرة فى وجه شقيقها الوحيد ...

وشعر هو بالأسف لما كشفته شقيقته من نقائصه ...

شعر لأول مرة أنه ما من إنسان كامل فى هذه الحياة ..

برغم بساطة هـذه الحقيقة إلا أنها كانت غائبة عن عينيه طيلة حياته ..

تكشفت أخطاؤه كلها أمامه دفعة واحدة ..

كان يطلب من (ريهام) القوة ، وهو يعانى الضعف ..

كان يطلب منها التضحية ، وهو يأبى البذل والعطاء ..

اعتصر الندم قلبه وهو يكتشف كيف كان أنانياً ..

لقد فقد (ريهام) بسبب كبرياء زائف ، وعناد أحمق ، وأنانية تتقمص رداء الكرامة ..

إنه يستحق أن يفقدها.. يفقد حبه الوحيد..(ريهام).

* * *

١٢ – الصفقة ..

انتهى والد (ريهام) من أداء صلاة الفجر ، واعتدل جالساً ، وتناول مصحفه ليبدأ تلاوة القرآن كعادته ، ولكنه شعر بباب غرفته يُفتح ، وسمع وقع خطوات رقيقة تقترب منه ، فالتفت يتطلع إلى القادم ، ولم يستطع إخفاء دهشته حينما وقعت عيناه على وجه ابنته (ريهام) ، وأنبأته ملامحها أنها تعيش قلقاً بالغاً ، ولكنه لم يحاول سؤالها عما يعتريها ، وإنما اكتفى بابتسامة شاحبة وهو يشير إليها بالجلوس ، وأدهشته أن أطاعت إشارته فى استسلام ، والتصقت به ، وكأنها تبحث عن الحنان والأمن فى قربه ...

كان يعلم أنها تعانى الكثير ، ولكنه فضل أن يترك لها حرية الاعتراف بما يدور فى أعماقهـا .. وصمتت هى طويلا ، ثم قالت فى صوت ينم عن حيرتها :

– لدى مشكلة تحتاج إلى مشورتك يا أبى .

تمتم ببعض الآيات القرآنية ، ثم قال فى هدوء :

– إننى أفضل عدم التدخل فى شئونك يا بنتى .

قالت فى صوت مختنق :

– ولكننى أحتاج إليك يا أبى .

وفجأة تفجرت عيناها بالدموع ، وارتعد جسدها وهى تبكى فى قوة ، وكأنها تنفض عن نفسها كل الحزن والحيرة فى أعماقها ...

انفطر قلب والدها حينما رآها تبكى أمامه لأول مرة ، ومد ذراعيه يحوط جسدها الضئيل فى حنو بالغ .. واستكانت هى فى أحضانه ، وتركت العنان لمزيد من دموعها الساخنة ..

كانت هذه هى المرة الأولى التى يمنحها فيها والدها كل هذا الحنان والعاطفة الأبوية ...

وكانت المرة الأولى التى تشعر فيها بالأمان بين ذراعيه ...

أحبت هذا الشعور واستكانت له فى استسلام وشوق عمر كامل ..

ضاع منها فى لحظة كل شعور اليتم الذى لازمها طيلة عمرها ...

شعرت فى أعماقها بقوة جديدة .. بحرارة دافقة لم تشعر بمثلها من قبل ..

أمسكت كف والدها ، ورفعتها إلى شفتيها ، وبللتها بدموعها وهى تقبلها فى امتنان ..

سألها والدها فى حنان :

– ماذا يقلقك يا بنتى ؟ .. أفرغى قلقك وحيرتك فى أذنىّ .

وجدت نفسها تندفع لتخبره كل شىء منذ البداية .. أخبرته عن لقائها بـ (أحمد) .. عن حبها له ، وحيرتها معه .. حدثته عن مشكلة حبها .. عن أحلامها وآمالها ومخاوفها .. عن قلقها وأفكارها وحيرتها .. حدثته عن كل شىء يموج فى أعماقها ...

لم يقاطعها والدها مرة واحدة فى أثناء حديثها .. اكتفى بأن يربّت على كتفها مشجعاً فى حنان ، كلما تهدج صوتها ، أو أجهشت بالبكاء .. تركها تفرغ كل ما لديها حتى انتهت ، ثم ران صمت عميق ..

رفعت (ريهام) عينيها إلى والدها تسأله رأيه فى سكون ، وتمتم هو بآيات قرآنية وهو يلف ذراعيه حولها فى رفق وحنان ، ثم مد أصابعه يجفف دموعها فى أبوة دافقة ، وابتسم فى طيبة واضحة وهو يقول :

– بكاؤك وقدومك إلى حجرتى فى مثل هذا الوقت يؤكدان أنك قد تجاوزت مرحلة التخبط والحيرة يا بنيتى ، وهـذا يملأ قلبى فخراً وسعادة .. فمنذ زواجك من (عبد الحميد) شعرت بالأسف والخيبة ، إذ كان تهافتك الشره على المال يبعث فى نفسى شعوراً مؤسفاً بأننى لم أنجح فى توفير حياة راضية لك ، برغم حرصى الدائم على ذلك منذ طفولتك .

ظهر الأسى والندم فى عينيها وهى تستمع إلى كلماته ، وهو يواصل قائلا :

– لقـد كنت تشكين دائماً من احتفـاظى بحلتين يتيمتين على امتداد الزمن ، ولكنك لم تسألى نفسك مرة لماذا لم أحاول شراء حلة جديدة ؟

بدا التساؤل فى عينيها ، وكأنهـا تستحثه على إجابة السؤال الذى ألقاه لتوّه ، ولم يدعها لفضولها طويلا ، إذ تابع فى حنان :

– فى كل مرة راودنى فيهـا الحنق ، ورغبت فى شراء حلة جديدة ، كانت أفكارى ومشاعرى تتجه كلها إليك .. إلى ابنتى الشابة التى تتطلع فى حسرة إلى ثيـاب

زميلاتها ، وفى كل مرة كنت أبتاع لك ثوباً جديداً بدلا من حلة جديدة لى .. وكنت أشعر بسعادة غامرة حينما تطل الفرحة من عينيك مع مرأى الثوب الجديد ، وفى كل مرة ترتدين ثوباً جديداً كنت أزداد حبًّا وتعلقاً بالحلتين القـديمتين ، حتى أصبحتا منى بمثـابة عنـوان لسعادتك وفرحك .. كنت أملك القليل ، ولكننى كنت أمنحك إياه عن طيب خاطر ..

احتضنته فى حنـان وحب ، وشـعرت فجأة بحنـان شديد إلى ثيابها القديمة الرخيصة ، التى أصبحت فى عينيها الآن أكثر قيمة من الثياب الفاخرة الباهظة التى ترتديها ..

وتهدج صوت والدها وهو يستطرد :

– وعنـدما تزوجت (عبـد الحميد) – رحمه الله – شعرت بالعجز والإحباط .. شعرت أن ما كنت أتعذب لأمنحك إياه لم يكن يشبع طموحك ، فانزويت بعيداً ، واكتفيت بمتابعة حياتك وأنا أدعو الله – سبحانه وتعالى – أن يهديك إلى السبيل القويم .. وبعد وفاة زوجك ازداد شعورى بالعجز ، وتضاعفت رغبتى فى العزلة بعد أن أقمنا معك هنا ، وأصبحت أنت الآمرة الناهية ..

فتحت فمها لتعلن ندمها ، وتعترف بخطئها ، إلا أنه أسكتها بإشارة هادئة من أنامله ، وعاد يواصل قائلا :

ـ كنت أراك تنفقين فى سهرة واحدة ما أحصل عليه أنا من وظيفتى المرموقة طيلة عام كامل ، ولكننى رفضت التدخـــل .. وحينما التحقت بكليـة الآداب شـعرت كما شعرت أمك بفطرتهـا الطيبة أنك قد وقعت فى مصيدة الحب ، ولكننا لم نعترض ، كل ما فعلته هو أن دعوت الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يظل حبك طاهراً شريفاً .. ولقد استجاب ـ سبحانه ـ لدعائى ، وكان حبيبك رجلا شريفاً أميناً ..

غمغمت وهى تزداد التصاقاً به :

ـ ولكنه يعذبنى يا أبتاه ..

ابتسم الوالد فى إشفاق ، وقال :

ـ كلا كما عذب الآخر كثيراً يا بنيتى .. إنها مأساة جيلكم ، الذى ولد فى عصر سيطرت فيه المادة ، وضاع منه الحب ..

هتفت وكأنها تدافع عن حبها :

ـ ولكننى أحبه يا أبى .. أحبه حقًّا .

هز رأسه فى طيبة ، قائلا :

ـ هـو أيضاً يحبك يا بنتى ، ولكن كليكما يرفض الاختيار .

رفعت عينيها إليه تسأله فى ضراعة :

ـ هل أترك ثروتى من أجله ؟

أجابها فى همس :

ـ وماذا صنعت لك الثروة يا بنتى ؟

تكشفت لها الآن جوانب أخرى من عالم الأثرياء ، جوانب حاولت كثيراً أن تتجاهلها ، أو أن المال الوفير قد أعماها عنها ..

فى هذه اللحظة فقط كرهت ثراءها ، وتمنت حيـاة جديدة ، فيها من الدفء والحنان أكثر ما فيها من الذهب والمـال .

ورفعت عينيها إلى عينى والدها وهى تهمس :

ـ لماذا لم تمنحنى كل هذا الحنان فيما مضى ؟

أطرق بوجهه مغمغماً فى أسف :

ـ لقد أخطأت أنا أيضاً يا بنيتى .. وليغفر لى الله ما سلف .

احتضنته فى قوة وحب ، وهتفت فى حنان :

ـ ليغفر لنا الله جميعاً يا أبى ..

وفى الصباح .. بعد أن ذهب والدها إلى عمله بدت هى هادئة واثقة ، بعد أن أفرغت كل ما يقلقها فى جعبة أبيها ..

انتابها شعور جديد بالأمان والراحة بعد حديثهما فى الفجر ..

وبدت أمها فرحة كما لو كانت قد شعرت بفطرتها بذلك التبدل الذى اعترى ابنتها ..

تناولت هى طعام إفطارها فى سكون ، ثم انتقلت إلى الهاتف ، وطلبت رقم الأستاذ (وجدى) المحامى ، وما أن سمعت صوته حتى بادرته قائلة :

ـ صباح الخير يا أستاذ (وجدى) .. أريد منك أن تقابلنى بعد ساعة واحدة فى منزل (فوزية) .

سمعته يهتف فى دهشة ، وكأنه لايصدق ما سمعته أذناه :

ـ (فوزية) من ؟ !

أجابته فى هدوء :

ـ (فوزية الدمنهورى) شقيقة زوجى الراحل ..

ساد الصمت لحظة على الجانب الآخر من الهاتف ، ثم سمعته يتنحنح وهو يقول :

ـ هل يمكننى أن أعلم سبب هذا اللقاء ؟

قالت فى حزم :

ـ ستكون شاهداً على صفقة جديدة ، تنتهى بعدها كل المشاكل .

بعد ساعة واحدة من هذا الحديث ، توقفت سيارة (ريهام) أسفل منزل (فوزية) المطل على نيل مصر .. ولم تكد تهبط من سيارتها حتى توقفت إلى جوارها سيارة المحامى ، الذى أسرع يصافحها فى لهفة وتساؤل ، ولم يستطع كتم فضوله وهو يسألها :

ـ أية صفقة هذه التى تنوين إبرامها مع (فوزية) ؟

أجابته وهى تتقدم إلى المصعد فى هدوء :

ـ لا تتعجل يا أستاذ (وجدى) ستعلم كل شىء فى حينه .

لم تكن دهشة (فوزية) بأقل من حيرتها ، عندما فتحت باب منزلها ، ورأت (ريهام) والأستاذ (وجدى) على عتبته ، وبلغ ارتباكها حداً جعلها تتأملها فى صمت

دقيقة كاملة ، إلى أن قال الأستاذ (وجدى) وهو يتظاهر بالمرح :

– هل سنظل هكذا طويلا ؟

أفاقت من دهشتها ، وأسرعت تدعوهما للدخول ، وابتسمت (ريهام) فى سخرية عندما لمحت أعقاب السجائر العديدة ، التى تملأ المنفضة ، ولم تخف عليها محاولة (فوزية) المرتبكة إخفاء علبة سجائرها ، وظلت ساكنة جامدة الملامح ، حتى هدأت نفس (فوزية) ، واتخذت مقعداً مقابلا ، وهى تتأملهما فى قلق ، قائلة :

– خيراً .. ما الذى دفعكما إلى هذه الزيارة المبكرة ؟

اعتدلت (ريهام) فى كبرياء وهى تقول :

– هل تذكرين تلك الصفقة التى أتيتم تعرضونها فى الڤيلا ؟

أومأت (فوزية) برأسها إيجاباً ، وقد ازداد فضولها اشتعالا ، على حين واصلت (ريهام) فى هدوء :

– لقد جئت أعرض عليكم صفقة أكثر ربحاً .. أكثر ربحاً بالنسبة لكم بالطبع .

* * *

١٣ – الصدام ..

هرع (فاضل) و (فتحى) إلى منزل شقيقتهما فور أن أبلغتهما عرض (ريهام) ، ولم ينجح أيهما فى إخفاء انفعاله ولهفته ، وهما يحدّقان فى وجه (ريهام) انتظاراً لسماع عرضها ، وتولاها شعور بالرغبة فى مد فترة لهفتهما ، إلا أنها لم تلبث أن ألقت هذا الشعور خلف ظهرها ، وقالت فى هدوء :

– سبق أن عرضتم علىّ نصف مليون جنيه نقداً ، مقابل تنازلى عن كل نصيبى فى ثروة شقيقكم الراحل .

أسرع (فاضل) يقول :

– هذا صحيح .. وما زال عرضنا قائماً .

قالت فى بطء :

– لدى عرض أفضل .

تبادل الأشقاء الثلاثة نظرات قلقة ، ثم غمغم (فتحى):

– دعينا نستمع إليه .

تركتهم ينتظرون كلماتها لحظة ، ثم قالت دون أن يزايلها هدوءها :

– إننى أعرض التنازل عن نصف المليون جنيه مقابل خمسين ألف فقط .

تطلع إليها الأشقاء الثلاثة فى ذهول ، وكاد قلب المحامى يتوقف من المفاجأة ، على حين أردفت هى فى بطء :

– والڤيلا .

هتفت (فوزية) فى سخط :

– الڤيلا ؟ ! .. كلا .. إننا نرفض هذا العرض .

حدجها شقيقها (فاضل) بنظرة صارمة ، على حين أسرع المحامى يقول :

– السيدة (ريهام) تقصد نصف مليوناً من الجنيهات إلى جوار الڤيلا و ...

قاطعته (ريهام) فى حزم :

– كلا يا أستاذ (وجدى) ، إن ما أطلبه هو الڤيلا ، وخمسين ألف جنيه فقط .

انفجرت (فوزية) صائحة :

– لن تحصلى على فيلا أخى الراحل ، ولو مقابل عشرة ملايين جنيه .

صاح (فاضل) فى غضب :

– صمتاً يا (فوزية) .

ثم نهض فى حدة ، وجذبها من ذراعها ، مستطرداً :

– أريد أن أتحدث معك وحدنا .

تبعته فى غضب بعد أن ألقت نظرة ساخطة على (ريهام) ، وتردد (فتحى) لحظة ثم لحق بهما فى لهفة ، وترك (ريهام) والمحامى وحدهما فى حجرة الصالون ، ولم يكد (فتحى) يغيب عن ناظريهما ، حتى قال الأستاذ (وجدى) فى ضيق :

– لماذا لم تلجئى إلى استشارتى قبل عرض هذه الصفقة ؟ .. كان يمكننا الحصول على عرض أفضل .

قالت فى صرامة :

– كفى يا أستاذ (وجدى) ، إننى لن أحصل مطلقاً على ما هو أفضل من ذلك ، لقد حاولت حساب كل ما أنفقته منذ وفاة (عبد الحميد) ، وواجهتنى حقيقة مؤلمة ، وهى أننى أنفقت كل نصيبى الشرعى تقريباً ، وهذا يعنى أنه لم يعد أمامى سوى التخلى عن أحلامى ومستقبلى ، والاكتفاء بإيراد المليون جنيه ، أو هذه الصفقة ، صدقنى إننى الرابحة فى النهاية .

قال فى ضيق :

– ولكنهم يعلمون هذا أيضاً ، وسيحاولون الحصول على شروط أفضل .

ابتسمت فى مرارة وهى تقول :

– بل سيوافقون يا أستاذ (وجدى) .

أشاح بوجهه ، قائلا :

– أشك فى هذا .

انحنت نحوه ، وقالت :

– اسمع ياأستاذ (وجدى) ، ربما تكون محامياً بارعاً ، ولكنك لا تفهم هؤلاء القوم كما أفهمهم أنا .. إن المليون جنيه ستطير صوابهم ، وسيتلهفون على الحصول عليها بأى مقابل ، ثم إنهم يعلمون أنه فى استطاعتى الاحتفاظ بكل شىء إلى أمد طويل ، ولن يطيقوا صبراً من أجل ذلك .

ثم اعتدلت ، مستطردة :

– سترى أن الجشع سيعميهم ، وأنهم سيقبلون .

تطلع إليها المحامى لحظة ، ثم اعتدل وقال وهو يشيح بوجهه ليؤكد عدم رضائه :

– سنرى .

فى نفس اللحظة كانت (فوزية) تقول فى سخط :

– لن أترك لها الفيلا .. إننى أحلم بسكناها منذ وفاة (عبدالحميد) ، لقد كنت أحسده دوماً على هذه الفيلا الرائعة .

وغمغم (فتحى) فى تردد :

– إن الفيلا تساوى نصف مليون على الأقل .

صاح (فاضل) فى حنق :

– كفى غباء .. إن العرض الذى تتقدم به هذه الحمقاء مناسب للغاية ، فلنفرض أن الفيلا تساوى نصف مليون ، إن هذا يجعلها تعرض ما يزيد عما سبق أن عرضناه بخمسين ألف فقط ، وأنا أراها صفقة رابحة .

هتفت (فوزية) :

– أى ربح فى هذا ؟

أمسك ذراعها فى قوة وهو يقول غاضباً :

– أيتها الغبية ، إن النقود تفقد الكثير من قيمتها مع مرور الوقت ، ومليون جنيه نتقاضاها نقداً الآن ، يمكنها أن تفعل أكثر ما يمكن أن تفعله أخرى نتقاضاها بعد ثلاث سنوات مثلا ، وقضايا الميراث هذه تستغرق فى العادة مثل هذا الزمن .

جذبت (فوزية) ذراعها من قبضته ، وقالت فى حدة :

– ولكن الڤيلا ..

قاطعها قائلا :

– لو أننا استثمرنا مليوناً من الجنيهات لعام واحد ، لأمكننا شراء فيلا أخرى تفوقها روعة ، صدقينى إنها صفقة رابحة .

غمغم (فتحى) :

– هذا صحيح .

ساد الصمت لحظة بين الأشقاء الثلاثة ، ثم قالت (فوزية) فى عناد :

– لن أدفع لهذه الحقيرة خمسين ألفاً دفعة واحدة .

قال (فاضل) فى صرامة :

– بل سندفع مائة ألف لو طلبت ذلك ، إننى المسئول عن إدارة ثروتنا ، وأنا أوافق على ما عرضته ، وأرى أنه يحقق لنا المزيد من الفائدة .

عضت شفتيها فى قهر ، وقالت :

– ومن أدراك أنها لن تتراجع عن عرضها هذا ؟

ابتسم فى خبث وهو يقول :

– لن نمنحها فرصة لذلك .

عاد الثلاثة إلى الصالون ، واتخذوا مقاعدهم فى صمت ، وأشاحت (فوزية) بوجهها وكأنها تعلن رفضها للصفقة ، على حين قال (فاضل) فى هدوء :

– إننا نوافق على هذا العرض ، بشرط واحد .

سألته (ريهام) وهى تبتسم فى هدوء :

– أى شرط هذا ؟

أجابها وهو يرمقها بنظرة فاحصة :

– أن يتم كل شىء على الفور .

ابتسمت (ريهام) وهى تقول :

– هذا ما عزمت عليه ، ولقد طلبت من الأستاذ (وجدى) الحضور لهذا السبب بالذات .

تناول (وجدى) حقيبة أوراقه فى استسلام ، وقال :

– سيحتاج هذا إلى تنازل منكم عن قضية الڤيلا ، وتنازل السيدة (ريهام) عن قضية رفض الوصية ، ثم تنازل منها عن نصيبها فى الثروة و ...

قاطعته (ريهام) قائلة :

– اتخذ كل الإجراءات القانونية يا أستاذ (وجدى) .

أخرج (فاضل) دفتر شيكاته ، ولوّح به كأنما يعلن استعداده لإنهاء الصفقة على الفور ، وقال :

– هل تريدين الشيك لحامله أم .. ؟

قاطعته وهى تقول فى لهجة توحى بالفخر :

– سيكون عقد الڤيلا والشيك باسم والدى ، الأستاذ (فتح الله حسين) .

* * *

شملها شعور بالارتياح الجارف وهى تقود سيارتها فى طريق عودتها إلى الڤيلا ، وتحسست عقد شراء الڤيلا والشيك فى حقيبتها عدة مرات طوال الطريق ..

كانت تشعر بالفرح لأنها تمكنت أخيراً من منح والدها ما يستحقه ، بعد ما عاناه طيلة عمره فى محاولة إسعادها ..

منحته الڤيلا اعترافاً منها بجميله وتضحيته ..

ومنحته خمسين ألفاً من الجنيهات لينعم بالعيش الرغد فى سنوات كهولته ...

أما هى فستعيش فى كنفه راضية ..

سيرقص قلبها فرحاً كلما ابتاع لها ثوباً جديداً ..

وستقبّل كفيه كل صباح ومساء ..

كان لقاؤها الأخير معه فى الفجر قد محا من نفسها كل شعور باليتم والوحدة ..

ستنعم أخيراً بحنان العائلة ودفئها ..

ستعود لمعاونة أمها فى نظافة الڤيلا ..

ستعود للعناية بأشقائها ...

انتقلت أفكارها إلى (أحمد) ، وتسلل الحزن إلى قلبها ..

ترى هل يقبلها زوجة بعد أن تخلت عن كل شىء ؟ ..

ترى هل يعود إليها بعد أن ألقت كل شىء من أجله ؟ ..

رأته بعين الخيال يتقدم لخطبتها من والدها ، ورأت نفسها تطرق خجلا فى فرح وسعادة ، ووالدها يسألها فى طيبة عما إذا كانت تقبل (أحمد) زوجاً لها ..

تصورت (أحمد) يتناول كفها الرقيقة فى راحته ، ويبتسم فى وجهها بكل الحب والحنان ، ثم يضع (دبلة) خطبته فى إصبعها ..

تملكها الخيال حتى أن قلبها رقص فرحاً ، وسرت النشوة فى عروقها ، وأغمضت عينيها لتترك لأحلامها العنان ..

أغمضت عينيها وهى تقود سيارتها وسط شوارع القاهرة المزدحمة ..

وانطلق صراخ المارة عندما رأوها تندفع بسيارتها نحو سيارة (أتوبيس) ضخمة ..

وانتبهت هى على صراخهم ، وفتحت عينيها فى فزع ، وحاولت أن تضغط (فرامل) سيارتها فى قوة ، ولكنها لم تجد ما يكفى من الوقت لذلك ..

وكان صداماً رهيباً ارتجفت له قلوب المارة ..

وسقطت (ريهام) فى بئر مظلمة عميقة .. لا قرار لها .

* * *



١٤ ـ الاختيـار ..

لكل شىء نهاية .. ولكل قصة ختام ..

قد تأتى النهاية كما نشتهى .. أو يختار القدر الختام ..

ولكننا أبداً ودائماً نستسلم للاختيار ، ونخضع لرغبات القدر ..

هذا ما دار بذهن (ريهام) وهى تجتاز فى بطء بحر الظلام الذى يحيط بها ..

كانت هنـاك غشـاوة ثقيـلة تنجاب عن عقلهـا فى هدوء .. وانتابها شعور بالراحة والاستسلام ..

لم يخالجها شك فى أنها قد لقيت مصرعها .. وتمنت لو أنها ذهبت إلى جنة العشاق ، حيث تنتظر وصول حبيبها (أحمد) ، وتعد له المكان بلمساتها وذوقها ..

لم تشعر بالخوف من الموت .. ولم ترهب ترك الحياة.

كل ما شغل تفكيرها هو متى تلتقى بـ (أحمد) فى العالم الآخر ..

خيل إليها أنه يجلس بقربها ، ويهمس فى أذنيها كلمات الحب والهيام ..

وتألق خيالها حتى باتت تسمع همساته فى وضوح ..
ازداد شعورها بالراحة والاستسلام .. ولم يعد يخالجها شك فى موتها ..
فهذه هى الجنة كما تصورتها ..
كل مخلوق يمكنه تحقيق أحلامه هناك ..
تملكتها رغبة فى التمتع بمتعة تحقيق الأحلام التى تتمتع بها فى الجنة ، فتمنت لو أن (أحمد) احتوى كفها بين راحتيه ..
أدهشها الشعور الذى تلا ذلك ، فقد شعرت وكأنه يلتقط كفّها حقاً ويضمها براحتيه فى حب وحنان ..
شعرت بحرارة يده تسرى فى كفها ..
يا لها من رائعة هذه الجنة !! حيث لا مال ولاخداع ..
إنها تتمتع فيها بكل ما عجزت عن نيله فى الدنيا ..
سيطرت عليها النشوة حتى تساءلت : ما الذى يمكن ان تراه لو فتحت عينيها ؟ ..
هل سترى بساتين الخلود وأنهار الخمر وملائكة الحب؟
أم ترى أمامها منزلا صغيراً يضمها وحبيبها (أحمد) ؟..
منزل تحيط به أزهار الحب ، التى ترويها أنهار الحنان .

وبلغ فضولها ذروته ، فبدأت تفتح جفنيها فى بطء ..
بدت الصور مهتزة فى البداية أمام عينيها .. وأغشى الضوء بصرها عدة لحظات ، ثم لم تلبث الصورة أن اتضحت فى بطء ، وخفق قلبها فى لهفة وحب ..
لم تكن أمامها بساتين العشق ..
ولا أنهار الخمر ..
كان أمامها وجه تفوق ملامحه كل متع الدنيا ..
كانت ترى وجه (أحمد) بوسامته ، وعينيه العميقتين ، وحنانه الدافق ..
عادت تغلق عينيها وهى تهمس :
– يا لها من متعة هذه الجنة !! كل الأحلام تتحول فيها إلى حقائق .
انتفض جسدها حينما سمعت صوته الحنون القوى يقول :
– بل هى الدنيا يا حبيبتى .. الدنيا التى وهبها لك الخالق مرة أخرى .
فتحت عينيها عن آخرهما فى دهشة ، وتطلعت إلى ملامحه الجذابة .. وتنبهت فجأة إلى عيون أخرى تحيط بوجهه ، وتتأملها فى لهفة ..

رأت وجه والدها ، ووالدتها ، وأشقائها ..

رأت وجه والد (أحمد)، ووالدته، وشقيقته (هالة)..

هتفت فى همس :

– (أحمد) !!

انحنى على وجهها وهمس بصوت يحمل كل الحب :

– حبيبتى .

انحدرت من عينيها دموع الفرح ..

لم تصدق أنها ما زالت فى الدنيا ..

لم تصدق أنه هنا إلى جوارها يهمس فى أذنيها بحبه ..

تطلعت إليه بدموع صامتة ، على حين أجهشت والدتها بالبكاء وهى تحتضنها ، وترقرقت دمعة حنون فى عينى والدها وهو يقول :

– حمداً لله على سلامتك يا بنتى .

سألتهم فى دهشة :

– هل نجوت ؟ !

قالت والدة (أحمد) وهى تربّت على كتفها فى حنان:

– لقد كان الحادث بشعاً ، ولكن الله – سبحانه وتعالى – لم يقدر لك أن تفارقينا يا بنتى ، وكل ما أصابك

بضع خدوش وكدمات ستزول سريعاً بإذن الله .

همس (أحمد) وهو يتطلع إلى وجهها فى حنان :

– ما كنت أحتمل هذا النوع من الفراق .

تأملتـه فى حب ، ثم أدارت عينيهـا إلى والدها ، وسألته فى لهفة :

– حقيبتى .. هل وجدتموها بعد الحادث ؟

ابتسم والدها فى حنان ، وقد فهم مغزى سؤالها ، وقال :

– نعم يا بنتى .. لقد وجدنا الأوراق، وفهمنا كل شىء .

عادت تنقل عينيها إلى (أحمد) ، وتغوص فى حنان عينيه ، وتبادل الآخرون نظرات تؤكد أنهم قد فهموا ، فتنحنح الوالد ، وقال :

– سننتظر فى الخارج .

غادر الجميع الحجرة ، وعند الباب ترددت (هالة) لحظة ، ثم عادت أدراجها إلى حيث ترقد (ريهام) ، وانحنت تقبل وجنتهـا فى حب ، ثم ابتسمت ابتسامتها الجذابة وهى تقول :

– حمداً لله على سلامتك .

ثم أسرعت تغادر الحجرة ..

التقت عينا (أحمد) و (ريهام) ..
أطل الحب دافقاً جارفاً ..
ضغط كفها فى رقة بين راحتيه ..
استكانت لحنانه الوفير فى سعادة ..
همس فى حب :
– سامحينى على كل ما سببته لك من آلام .
يطلب منها أن تسامحه وهو لا يدرى أنها قد غفرت له منذ زمن طويل ..
إنها تحبه .. والحب هو المغفرة ..
مدت كفها تداعب شـعره فى رقة ، وابتسمت فى ارتياح ، فعاد يهمس فى حب :
– لقد كنت أنانيًّا و ..
مست شفتيه بأناملها ، وكأنها تطلب منه الصمت ، وابتسمت ..
انتقل الحب عبر بسماتهما ، وامتلأ قلباهما بالهوى ، واكتفى كل منهما بتأمل الآخر طويلا ، قبل أن تهمس هى :
– لقد تخليت عن كل شىء .
أجابها :

– وأنا أيضاً .
ابتسمت ، وقالت :
– سنتزوج فى شقة والدى القديمة .. إنها ليست بالغة الأناقة ، ولكن إيجارها رخيص يناسب زوجين فى بدء حياتهما .
استمر يتطلع إليها فى حنان ، فواصلت قائلة :
– ويمكننا أن نحتفظ بأثاثها و ..
رفع أصابعه أمام شفتيها يطلب منها الصمت ، فأطاعته وهى تبتسم ، وقد ازداد شعورها بالراحة والأمن إلى جواره ..
انحنى على أذنها ، وهمس فى هيام :
– أحبك ..
تهدَّج صوتها وهى تهمس :
– أنا أيضاً أحبك .
ثم ابتسمت فى رقة وهى تداعب وجنته بأناملهـا ، هامسة فى عتاب :
– كنت ستتزوج أخرى .
أطرق فى خجل ، وقال :
– كانت فكرة حمقاء ، وأدها حبك فى مهدها .
تطلعت إلى ملامحه فى حنان ، فتناول كفهـا الرقيقة

بين راحتيه ، وفوجئت به يحيط إصبعها بدبلته ، فتطلعت إليه بخليط من الدهشة والفرح ..

فاضت مشاعرها بالحب ..

وهتفت أعماقها .. إنها الجنة ولا ريب ..

حيث تتحقق أحلام العشاق ..

وتتدفق أنهار الحنان ..

حيث تنبت زهور الحب ..

ويرويها بحر الأمل ..

تأملت ابتسامته التى تتسع فى حب وحنان ..

وسبحت فى بحر عينيه العميقتين ..

وسمعته يهمس :

– (ريهام) .. هل تقبلينى زوجاً .

همست وهى تحتضنه بعينيها فى سعادة :

– وهل تسألنى ؟ .. إننى أدخر حبى منذ مولدى .. أدخره من أجلك .. من أجلك وحدك .

وامتلأ المكان بعبير الحب ....

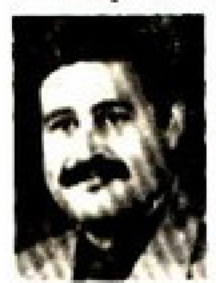
* * *

تمت بحمد الله

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



المؤلف



د. نبيل فاروق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

من أجلك

وجدت (رهام) نفسها فجأة أرملة ثرية فى الثانية والعشرين من عمرها .. ولكن الشرط الوحيد لاستمرار ثروتها هوبقاؤها دون زواج .. عاشت حياتها دون أن يقلقها هذا حتى التقت بـ(أحمد) ، ونسج الحب ثوبه الوردى حولهما .. هنا كان عليها أن تختار بين الثراء ، والحب .. عليها أن تتخذ قرارها فى حزم .. فإما أن تحتفظ بثرائها ، أو تفقد كل شىء من أجله .

° ° °

الثمن فى مصر
ومايعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم

١